سلسلة النقد والتحقيق

(٢)

مقدّمة

المجالس الفاخرة
في ماتم العترة الطاهرة

تأليف

المجتهد الأكبر الحجة

آية الله السيد عبدالحسين شرف الدين (١٣٧٧)

تحقيق و تعليق

آية الله السيّد نورالدين الميلانى (١٤٢٥)

مركز الحقائق الاسلاميه

لجنة النقد والتحقيق

* **الكتاب: مقدّمة المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة**

* **المؤلف: السيد عبدالحسين شرف الدين**

* **نشر: الحقائق**

* **المطبعة: وفا**

* **الطبعة: الأُولى ـ ١٤٣٠**

* **العدد: ١٥٠٠ نسخة**

* **ردمك: ٨ - ٠٨ - ٥٣٤٨ - ٦٠٠ - ٩٧٨** ٨ - ٠٨ - ٥٣٤٨ - ٦٠٠ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمركز

عنوان المركز: قم، شارع صفائيه، فرع ٣٤، فرع ايراني زاده، رقم ٣٣، الهاتف: ٠٢٥١-٧٧٣٩٩٦٨، الفاكس: ٠٢٥١-٧٧٤٢٢١٢

عنوان مركز النشر: قم، شارع صفائيه، مقابل صندوق قرض الحسنه دفتر تبليغات، الهاتف: ٠٢٥١-٧٨٣٧٣٢٠

عنوان مركز التوزيع في مشهد: شارع الشهداء، خلف حديقة نادري (باغ نادرى)، فرع الشهيد خوراكيان، بناية گنجينه كتاب التجارية، نشر نور الكتاب، الهاتف: ٠٥١١-٢٢٤٢٢٦٢ ٠٩١٥١١٩٩٤٨٦

عنوان مركز التوزيع في اصفهان: شارع چهارباغ پائين، آمام ملعب تختي الرياضي، المركز التخصصي للحوزة العلمية في اصفهان، الهاتف: ٠٣١١-٢٢٢٣٤٢٣

الموقع: www.Al-haqaeq.org ـ **البريد الالكتروني:** Info@Al-haqaeq.org

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المركز

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على محمّد وآله الطاهرين.

وبعد، فقد قرّر المركز تشكيل لجنة تقوم ـ بإشراف وتوجيه من سيّدنا الفقيه المحقّق آية الله السيد علي الميلاني ـ دام ظلّه ـ بنقد بعض البحوث المنتشرة من المعاصرين وتحقيق بعض الكتب التراثيّة الصغيرة في الحجم والكبيرة في الفائدة، في مختلف العلوم والمسائل الاسلاميّة، وإخراجها في سلسلة تحت عنوان (سلسلة النقد والتحقيق) خدمةً للعلم والدين، وإحقاقاً للحق المبين، وإحياءً لآثار العلماء المحقّقين، وتوفيراً للمصادر النافعة للباحثين، سائلين المولى الكريم المفضال أن يتقبّل منّا هذا العمل وسائر الأعمال.

مركز الحقائق الإسلامية

كلمة لجنة النقد والتحقيق

لا يخفى أن مسألة مأتم سيّدالشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السّلام من المسائل الّتي اهتمّ بها العلماء من قديم الزّمان، والكتب المؤلَّفة في هذا الموضوع كثيرة جدّاً، ولعلّ من أحسنها ما جادت به يراعة المجتهد الأكبر آية الله السيّد عبدالحسين شرف الدين العاملي رحمه الله، في مقدّمة كتاب المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطّاهرة.

وقد قام المرحوم آية الله السيّد نورالدين الميلاني رحمه الله بطبع المقدّمة ـ بإذن من السيّد المؤلّف ـ لتكون النشرة الأولى لمكتبة سيّدالشهداء الحسين عليه السّلام العامّة، الّتي أسّسها حينما كان بكربلاء المقدّسة، بمقدمة وتعاليق مفيدة، في عام ١٣٧٧ من الهجرة النبويّة.

وقد راجعنا الكتاب وحقّقناه وأضفنا إليه مصادر أخرى من كتب الفريقين، شاكرين العلاّمة المحقق الشيخ نزار الحسن على ما بذله من الجهد في تحقيق هذا الكتاب، وسائلين الله تعالى التوفيق لرفد المكتبة الإسلاميّة بأمثاله من البحوث النافعة.

لجنة النقد والتحقيق

بمركز الحقائق الاسلاميّة

مقدمة

آية اللّه السيّد نورالدين الميلاني رحمه اللّه[1]

أحمدك اللهم ولا حمد لسواك، ولا ثناء إلاّ عليك والأمر لك، وإيّاك أعبد وإيّاك أستعين، والصلاة على مَن صلّيت عليه، واللعنة على مَن حلّت عليه لعنتك.

كان من صنع الباري جلّ وعلا ـ المتقن ـ أنْ أوجد في البشر غرائز ثمينة، أفضلها الإيمان بالواقع، والخضوع له عندما حصله، وقد يبذل أجلّ ما بيده في سبيله، ويتفادى دونه متى أدركه.

فمن الغريب جدّاً، جهل الإنسان نوعاً من الحقائق، وإنكاره بعض

الواقعيات، أو خفاؤها عليه بعد ظهورها، ولذلك ورد في القرآن المجيد الأمر بالتدبر، والتعقل، والتفكر، والملامة على عدم التدبر و... .

ومن الغرائز المودعة في هذا الإنسان حبّه الاستطلاع، والخبرة في التاريخ، ودرس موادّه والتعمق فيه، حتى لا يقتصر على مفاهيمه فحسب، بل يسعى أن يدرك ـ بمعونة التحليل الفكري ـ المعارك والميادين، ليرى مشاهد الأبطال، ويشهد حالة المظلومين، ومصير الظالمين وينظر إليهم كما لو كان حاضراً معهم، والسبب نفسه جعل الباحث يهمّه التفتيش عن مصارع الشهداء، والتطلّع على ضحايا الإنسانية، وعلى ضوئه يعترف المنصف لهم ويواليهم مع الإكبار والتقديس لجهودهم، وقد (**فَضَّلَ اللّهُ الْمُجاهِدينَ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدينَ**)[2]... .

ونحن إذ ننكر الكلية والإطراد في أغلب المواضيع، فلا محيص من الإقرار بها ـ حيث لا تقبل الاستثناء ـ في بعض الموارد.

فالقاعدة في إحترام الشهيد أو المظلوم مطردة عند العموم ـ متدينين أم غيرهم ـ والنصرة والترحم لهما، مبدأ يقول به إلاّ المعاند، والرأفة على أهلهما وأيتامهما غير مستنكرة، إلاّ عند المفرّط والعادل عن الحق.

---

(١) وهو والد آية اللّه السيّد علي الميلاني. توفي سنة ١٤٢٥ ودفن في قم بمقبرة شيخان.

(٢) سورة النساء: الآية ٩٥.

وخلاصة القول: ـ إنّ أجمل ما يختاره الإنسان من أنواع احترام الشهيد والمظلوم، معاضدته ومناصرته، ولا أقل من الحزن والأسف عليهما، والإنكسار لهما، وأجلّ صفة يحملها الحنان على ذويهما من قرابته ورحمه، وبالعواطف والأحاسيس يكرم الإنسان، وإلاّ فهو (**كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبيلاً**)[٣].

فمن هنا تعقد المآتم على الفقيد، وكلّما عزّ وخطر اتسعت واكتسبت أهميةً، وكلّما جلَّ المصاب وعظم، تمتد أيامه وتطول مدته.

أجل: جعل اللّه هذه السُّنة المتبعة في خلقه، (**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّهِ تَبْديلاً**)[٤]، بل أنّ هذه الغريزة والخلق مما فطر اللّه الناس عليها.

فعلى هذا الأساس، كانت الامم ـ في جميع الأعصار والأمصار على اختلاف مبادئها وتنافر بعضها أحياناً ـ لم تزل مندفعةً عند مظلومية العترة الطاهرة صلوات اللّه عليهم، إندفاعاً لا يمنعه التشكيك، وعنوا لمآتمهم ـ عليهم السلام جيلا بعد جيل، عنايةً لا تعاكسها قوة في القرون الأولى والوسطى، إلاّ زادتهم نفوراً من تلك القوة، وثباتاً على تلك المراسم، فيخدمونها من صميم القلب بشق الرؤوس وجرح الصدور، بل كادت أفئدتهم تنفطر على مصابهم، لاسيما تجاه شهداء الطف ومجزرة كربلاء (عاشر محرم سنة ٦١ الهجرية) وعقباتها في الكوفة والشام، ولاصلة دينية أو علقة إنتماء، أو رابطة اخرى تجمع بين القائمين بمظاهر الأسى والدين والعقيدة.

إذاً، لا مجال للاستغراب مهما بلغنا مما يقوم به غير الشيعة ـ المسلمون ومنتحلوا الديانات الأخرى ـ أو الهندوك والسيك، من التوجّع والتفجّع على الحسين سبط رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وريحانته، والنفر الذين كرّموا بموقفهم الشهادة، وفازت بهم لمّا بذلوا مهجهم دون الحسين أرواحنا فداه.

وقد شاهدت قسماً من ذلك في رحلاتي من أرامنة تبريز ـ ايران ـ وسائر المذاهب والملل في الهند وباكستان، وسوريا ولبنان، والجموع المحتشدة والآلاف المزدحمة في يوم عاشوراء وغيره من الأيام باسم ـ يوم ـ الحسين وأسبوعه الفخم، وهم من كلّ أمّة فوجاً، ووجدت الخطباء منهم والشعراء يتسابقون باحتفالهم بهذه الذكريات.

وحيث إني مختصر كلمتي هذه ـ من حرفها الأوّل ـ أحيل التفصيل إلى مجال آخر، ولعلّي أوفق ـ بعون اللّه تعالى ـ لنشر شيء من التضحيات بدنيةً، اقتصاديةً، زمنيةً والحركات الأدبية هناك.

وكلّ يعلم أنّ ما كتب ونشر باللغات ـ شرقيةً وغربية ـ عن أسرار شهادة الحسين وأسبابها ومآتمه عليه السّلام لكثير، والذي يدلُّ على

مكانته في الأفئدة، وعظمته في النفوس، وهوايتها له، وأنّه الرجل العالمي الوحيد، وأنّه ـ عليه السّلام ـ يُجدّد دينَ جدّه ـ صلى اللّه عليه وآله ـ كلّ يوم بل كلّ آن، وأنّه القائد الأعلى وحده للإنسانية وطلاّبها إلى الأبد.

---

(٣) سورة الفرقان: الآية ٤٤.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٦٢.

هذا، والذي بأيدينا هو سفر علمي جليل، وبحث فني جميل، قدّمه الزعيم سيد الطائفة ومرجعها الكبير، حامي المذهب الإمامي، وحصن الدين الإسلامي، السيد عبد الحسين شرف الدين قدس اللّٰه تربته لكتابه (المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة) عنينا بطبعه كنشرة أُولى لمكتبة سيد الشهداء الحسين عليه السّلام العامّة ـ كربلاء المقدسة، تشريفاً لها، وتسديداً للحاجة المبرمة ـ من الباحثين والمختبرين والمفكرين ـ لمثله. وإليك عنه وعن مؤلفه العظيم، والكتاب والمكتبة مايلي موجزاً:

أما المقدمة:

يغنينا عن بيان أهميتها، اهتمام الأوساط العلمية والأدبية والفقهية لها، ويلمسُ القارىء ذلك من فصولها، وقد أُخرجت للطبع سنة ١٣٣٢ (أي قبل ٤٦ عاماً) ردعاً لإنسان ـ ؟! ـ بلغ به جهله بفلسفة شهادة الحسين وأسرار مآتمه عليه السّلام وبعده عما أثبته سلفه المحدّثون والمؤرخون، حدّ الاستنكار، ونسب الشيعة إلى البدعة لبكائهم ولطمهم
على ريحانة نبيهم ـ صلى اللّٰه عليه وآله ـ ولم يدرِ أنّ الأمر بعكس مرتآه، وأنّ الشيعة لم تنفرد بهذه المراسم، بل أنّها من الأمور الثابتة من الدين، ومعترف بها عند المسلمين.

ولقد أجاد سيدنا ـ شرف الدين ـ حيث استدلّ على مشروعيّة المآتم من كتب الفريقين، لعلّ المعترض يهتدي ويندم على ما فرّط.

نعم، مُنيت البلاد والأمة الأسلامية بعدد من الدجّالين والمأجورين من تاريخ بعيد، فهدموا قواعدها، وفرّقوا كلمتها، وشتتوا جمعها، فخدموا الأجانب ـ الطامعين ـ والمستفزين حتى أحرجوا موقف سيدنا شرف الدين وزملائه قدس اللّٰه أسرارهم، فجعلوا يكابدون الآلام، ويتجرّعون الغصص، إلى أن يتمكنوا من سدّ ثغر أو القضاء على نعرة من النعرات المختلفة ذات الألوان! والمنحدرة من الغرب المظلم.

هكذا أعلام الدين وهكذا شأن العلماء، فإنّهم ـ كما ورد في الحديث ـ ورثة الأنبياء، وعلماء أمّتي أفضل من أنبياء بني إسرائيل ـ دعاة كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، يعملون في إزالة التخاصم والشقاق، ولم يألوا جهداً في سبيل تحرير العقيدة من شتى الوساوس، وحريصون على تخليصها والأمة الاسلامية من دسائس المدنية والحضارة المزيفة، والمتشكلة بشكل الدين، والمذهب، والحزب، والجمعيّة، وفق الميول
والأهواء والمناطق والأشخاص.

نبتهل إلى اللّٰه تعالى قطع دابر الظالمين، ودفعهم بهمّة الرجال المخلصين، وقلعهم بأيدي الأبطال من أصحاب الشعور الحيّ المجردين من التقاليد العمياء والخاضعين للحق أينما وجدوه، وإليه المشتكى ولا حول ولا قوة إلاّ باللّٰه.

أما المؤلف:

فهو أشهر من أن يذكر، وأظهر من أي تعريف، وأكبر من أي معرِّف، وقد ملأ النفوس غبطةً وعظمة بمؤلفاته وآثاره وحركاته.

كان ـ رضوان اللّٰه عليه ـ من أقطاب الأمة علماً وعملا، تعوّل عليه في شدائدها، وتركن إليه في أمورها، وكان ـ قدس اللّٰه تربته ـ مفيد وقته، ومرتضى عصره، والواقع إنّه المفيد والمرتضى طيلة أيامه المأسوف عليها.

عاش عزيز البلاد، عظيماً عند الخلق والخالق; لأدائه مطلوبهما والقيام بواجبهما، والجهاد في سبيلهما، ونضاله معانديهما، ومواقفه الجبارة ضد الكفرة والفسقة وأذنابهما غير مبال منهم، مهما بلغ به الأمر وكلّفه، حتى آخر ساعة من عمره الشريف... .

والتفاصيل في مقدمة الطبعة الثانية والثالثة من كتابه: المراجعات. بقلم أحد مشيخة الإسلام[٥].

أمّا الكتاب:

فكان يقع في أربع مجلدات ضخمة، تتضمن سيرة النبي وعترته ـ إلى قائمهم المهدي عجّل اللّٰه فرجه ـ وحياتهم صلى اللّٰه عليه وعليهم وبعض خطبهم، والذي جاء في المواعظ والأخلاق، وكان ـ كما عبّرلنا عنه السيد قدس سرّه ـ كتاباً اجتماعياً، سياسياً، عمرانياً، ومن أحسن ما كُتِبَ في الإمامة والسياسة.

وقد أعدّه ـ شرف الدين ـ للطبع بعد صدور (المقدمة)، ولكن شعلة الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ م) وعلى أثرها الحركة الإسلامية ضد الاستعمار[٦]، حالتا عن طبعه، بالرغم من حرصه الشديد لذلك، حتى أصبح هو ومؤلّفاته الأُخرى ـ ما يقرب من ثلاثين مجلّداً مخطوطاً بقلمه الشريف ـ طعمة حريق سلطة الاحتلال الفرنسي، حيث سلّطت النار على دار ـ شرف الدين ـ في (شحور) و بعده احتلّت داره الكبرى في (صور)، وأُبيحت للأيدي الأثيمة سلباً ونهباً.

وكان أوجع ما في هذه النكبة ـ المشتملة على أنواع التعذيب والصدمات على السيّد وأهله وصحبه ـ تحريق مكتبته المحتوية على أنفس الكتب وذخائرها من كلّ نوع ولا سيما الخطية، وما كانت من
ثمرات عمره الشريف وآثاره الثمينة[٧].

أمّا النشر:

لهذا الكتاب، فإنا لمّا أسسنا المكتبة كتبنا إلى سماحة ـ شرف الدين ـ بعد عرض القصد من تأسيسها على حضرته مايلى: ـ

فمن المناسب أن تكون نشرتها الأولى ما يتعلق بحياة من شرّفت المكتبة باسمه ـ الحسين عليه السّلام ـ لا سيما إذا كانت بقلم عبده (سيد الطائفة وزعيمها المفدّى حضرتكم) وأجابنا على ذلك، ولكن المنيّة حالت دون المطلوب من سماحته. فاخترنا هذا السفر بل الكنز المرصود، وأعدنا طبعه معتزّين به والتوفيق الشامل بعناية اللّٰه راجين ذلك لعدد كبير من الآثار نقبل تحديده، وليس على اللّٰه بمستنكر، وهو الموفق والمستعان.

---

(٥) سماحة آية اللّٰه الشيخ مرتضى آل يس دام ظله الشريف ــ النجف الأشرف ــ .

(٦) الثورة العاملية على الفرنسيين سنة ١٩٢٠ م.

(٧) «لصوص شمعون تهاجم مدينة صور. تتنمّر في ظل الاحتلال الأميركي فتحرق الكلية الجعفرية. وتدمّر دار مؤسسها المرحوم الإمام شرف الدين».
تجد هذه النصوص والتفصيل في ص ٣ ــ ١٤ = ٨ = ١٩٥٨من ــ يقظتنا ــ اليومية البغدادية.
ثم فكر في القول المأثور: (الكفر ملة واحدة)، وتمسك بالقرآن وأهله واترك هواية غيرهم ولا تنخدع بغواية التمدن والحضارة(؟!) المزعومة والمحشوة من ألوان السموم بأيدي الاستعمار والاستعباد.

أمّا المكتبة:

فإنها أُسست لغرض خدمة المجتمع ورفع مستوى كربلاء الثقافي، وتسديد عوز الواردين ـ من أقطار الدنيا ـ لهذه المدينة المقدسة، فهي على مكانتها العالمية المرموقة، كانت فاقدة لنظيرها والتي جمعت ما يقرب من ثلاثة آلاف مؤلفاً ـ في زمن قصير ـ على بضع لغات ـ شرقيةً وغربيةً ـ في شتى العلوم والفنون، القديمة والحديثة.

وقد نشرنا ـ بدأ التأسيس ـ عنها في الصحف داخل العراق وخارجه، وأرسلنا ـ بالبريد ـ بلاغاً إلى حضرات مَن عرفنا عنوانهم في أقاليم مختلفة ندعوهم للمساهمة والمعونة في تنمية هذه الخيرية الحسينية... .

فجزى اللّٰه الذوات الكرام، وأصحاب الغيرة والإيمان، وحملة النفوس الطيّبة المساهمين في هذا المشروع الحيوي المقدس ـ الذي هو من نوع الباقيات الصالحات ـ والمتبرعين، والمناصرين، وزملائي المحترمين ـ أعضاء الهيئة المؤسسة والتولية والمال والإدارة ـ خير جزاء المحسنين، وجعلهم (**مَثَلُ الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبيلِ اللّٰهِ كَمَثَلِ حَبَّة أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَة مِائَةُ حَبَّة وَاللّٰهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَاللّٰهُ واسِعٌ عَليمٌ**)[٨] و أثابهم بكرمه في الدنيا والآخرة.

وسوف ننشر ـ لأول فرصة مالية ـ أسماءهم الكريمة ونطلعهم على التفاصيل والمعلومات الكافية، في البيان الصادر عن المكتبة منذ كانت فكرةً محضةً، ثم الخطوة الاولى، وتقدّمها حتى رقيّها المنتظر بهممهم الجبارة، كما أننا لاننساهم في صالح دعواتنا بعد كلّ صلاة وتحت قبة سيد الشهداء الحسين ـ عليه السّلام ـ أرواحنا له الفداء وسائر الأحوال، والسلام عليهم وعلى مَن بلغه هذا ورحمة اللّٰه وبركاته من:

نجل سماحة المجتهد الكبير آية اللّٰه الحاج السيد محمّد هادي الميلاني «دام ظله الشريف».

نور الدين الحسيني الميلاني

كربلاء في ١١ صفر سنة ١٣٧٨

---

(٨) سورة البقرة: الآية ٢٦١.

مقدّمة

المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة

وفيها خمسة مطالب

كلمة المؤلّف

الحمد للّه على جميل بلائه، وجليل عزائه، والصلاة والسلام على أُسوة أنبيائه، وعلى الأئمة المظلومين من أوصيائه، ورحمة اللّه وبركاته.

أما بعد، فهذا كتاب (**المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة**)[٩] وضعته تقرّباً إليهم في الدنيا، وتوسلا بهم في الآخرة، سائلا من اللّه سبحانه أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، إنّه الرؤوف الرحيم.

الأصل العملي[١٠] يقتضى إباحة البكآء على مطلق الموتى ورثائهم بالقريض، وتلاوة مناقبهم ومصائبهم، والجلوس حزناً عليهم والإنفاق عنهم في وجوه البر، ولا دليل على خلاف هذا الأصل، بل السيرة القطعية[١١] والأدلّة اللّفظية حاكمان بمقتضاه، بل يستفاد من بعضها استحباب هذه الأمور، إذا كان الميت من أهل المزايا الفاضلة، والآثار النافعة، وفقاً لقواعد المدنية وعملا بأصول العمران; لأنّ تمييز المصلحين يكون سبباً في تنشيط أمثالهم، وأداء حقوقهم يكون داعياً إلى كثرة الناسجين على منوالهم.

---

(٩) راجع المقدمة بقلم السيد نور الدين الميلاني.

(١٠) يقصد أن الحكم الشرعي في مرحلة العمل، هكذا يقتضي... وذلك استناداً إلى قولهم أنّ الأصل في الأشياء الاباحة، وقد ذهب إليه علماؤنا ــ أهل الحق والتحقيق ــ رضوان اللّه عليهم، واستدلوا عليه عقلا بقبح العقاب والملامة فيما لم يمنعه الدين، ولم يرد فيه من الشرع نهي عنه أو تحريم. ونقلا بقوله تعالى: ﴿وَما كُنّا مُعَذِّبينَ حَتّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾سورة الإسراء: الآية ١٥ وغيرها من الآيات... (الميلاني).

(١١) السيرة: معناها الأمر المتداول عند عموم المسلمين، وهي بذاتها قد تفي عند الاستدلال لجواز الاقدام على أمر مجهول الحكم وربما يدرك بها الواقع أيضاً ولكن لا تتم إلاّ بقيود أهمها:

الأول ــ أن يكون العاملون به (الأمر الذي نريده ولم نعلم حكمه) متدينين وقد أتوا به باسم الدين لا كسائر العادات محلية أو عائلية.

الثاني ــ أن لا يكون المطلوب أمراً مستحدثاً بل كان عليه الماضون خلفاً عن السلف الصالح، وينتهي إلى زمان المعصومين ــ صلى اللّه عليهم أجمعين ــ .

الثالث ــ لا وزن للسيرة إذا لم يحصل لنا القطع بإذن الشارع أو عدم ردعه عنها (الميلاني).

وتلاوة أخبارهم ترشد العاملين إلى اقتفاء آثارهم[١٢] وهنا مطالب.

(١٢) ما أفصح كلامك وأبلغه ــ يا شرف الدين ــ فقد أتيت بالواقع الملموس وقلتَ حقاً ونطقتَ صدقاً، فإنّ الأمم سائرون على هذا النهج ووجدناهم في رحلاتنا إلى الهند وباكستان، وسوريا ولبنان يحتفلون باسم رجالاتهم، معتزّين بسلفهم، ويعتنون بذكريات أبرارهم من حركة أو عمل ويسعون في نشر ذلك والحث على تبعية أولئك غير مبالين (مهما كلّفهم) بصرف الأموال الضخمة روماً للغاية التي نوّه عنها قدس اللّه تربته. (الميلاني).

المطلب الأول

في البكاء

في البكاء

ولنا على ما اخترناه فيه ـ مضافاً إلى السيرة القطعيّة ـ فعل النبي صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم وقوله وتقريره.

أمّا الأوّل، فإنّه متواتر عنه في موارد عديدة:

منها: يوم أُحد، إذ علم الناس كافة بكائه يومئذ على عمّه أسد اللّٰه وأسد رسوله، حتى قال ابن عبدالبر في ترجمة حمزة من استيعابه:[١٣] لما رأى النبي (صلّى اللّٰه عليه وآله) حمزة قتيلا بكى، فلما رأى ما مثّل به شهق.

وذكر الواقدي ـ كما في أوائل الجزء الخامس عشر من شرح نهج البلاغة[١٤] للعلامة المعتزلي ـ إن النبي (صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم) كان

يومئذ إذا بكت صفيّة يبكي وإذا نشجت ينشج قال: «وجعلت فاطمة تبكي، فلمّا بكت بكى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله»[١٥].

ومنها: يوم نعى زيداً، وذا الجناحين، وابن رواحة، فيما أخرجه البخاري في الصفحة الثالثة من أبواب الجنائز من صحيحه[١٦].

وذكر ابن عبدالبرّ في ترجمة زيد من إستيعابه: «إنّ النبي صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم بكى على جعفر وزيد» وقال: «**أخواي ومؤنساي ومحدّثاي**»[١٧].

---

(١٣) في أواخر الصفحة ٣٧٨ من المجلد الثالث، طبع مصر. (المؤلف).

(١٤) قد اشتمل هذا الحديث على فعل النبي صلّى اللّه عليه وآله وتقريره، فهو حجة من جهتين، على أنّ بكاء سيدة النساء ــ عليها السلام ــ كاف كما لا يخفى. (المؤلّف).

يقصد أنّ فعل فاطمة عليها السلام يكفي للاستدلال، وهو حجة في مثل هذا المقام، إذ أنّها معصومة عندنا، وقد أثبت علماؤنا ــ قدس اللّه سرهم ــ ذلك من الأحاديث الصحيحة والمتواترة، ويؤيده صريح آيتي المباهلة والتطهير.

ولا يخفى على الباحث ما في كتب التفسير، الحديث، التاريخ، السير، التراجم في هذا الشأن، مما يدل على عظمة البتول فاطمة بضعة رسول اللّه (صلّى اللّه عليهما) ولن يفوته ما في الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء المطبوع مع الفصول المهمة في تأليف الامة، وكلاهما لسيدنا شرف الدين. (الميلاني).

(١٥) شرح نهج البلاغة; للمعتزلي ١٥ / ١٧، دار إحياء الكتب العربية.

(١٦) صحيح البخاري ٤ / ٢١٨، ط بيروت، دار الفكر، سنة ١٤٠١.

(١٧) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ / ٥٤٦.

ومنها: يوم مات ولده إبراهيم، إذ بكى عليه، فقال له عبدالرحمن بن عوف (كما في الصفحة ١٤٨، من الجزء الأوّل من صحيح البخاري): «وأنت يا رسول اللّٰه؟!».

قال: يابن عوف إنّها رحمة[١٨] ثم أتبعها (يعني عبرته) باخرى. فقال:

«إنّ العينَ تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول[١٩] إلاّ ما يُرضي ربّنا، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[٢٠].

ومنها: يوم ماتت احدى بناته (صلّى اللّٰه عليه وآله) إذ جلس على قبرها (كما في صفحة ١٤٦ من الجزء الأول من صحيح البخاري) وعيناه تدمعان.

ومنها: يوم مات صبي لاحدى بناته إذ فاضت عيناه يومئذ (كما في الصحيحين[٢١] وغيرهما) فقال له سعد: «ما هذا يا رسول اللّٰه؟» قال:

«هذه رحمة جعلها اللّٰه في قلوب عباده، وإنّما يرحم اللّٰه من عباده الرحماء»[٢٢].

ومنها: ما أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين، عن ابن عمر قال: «اشتكى سعد فعاده رسول اللّٰه (صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم) مع جماعة من أصحابه فوجده في غشية فبكى (قال): «فلمّا رأى القوم بكاءه بكوا. الحديث»[٢٣].

والأخبار في ذلك لا تُحصى ولا تستقصى.

وأمّا قوله وتقريره، فمستفيضان ومواردهما كثيرة:

فمنها: ما ذكره ابن عبدالبر في ترجمة جعفر من استيعابه قال: «لمّا جاء النبي (صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم) نعي جعفر[٢٤]، أتى امرأته أسماء بنت عميس فعزّاها قال: ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول: «واعمّاه»، فقال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله:

«على مثل جعفر فلتبك[٢٥] البواكي[٢٦]».

---

(١٨) لا يخفى ما في تسميتها رحمة من الدلالة على حسن البكاء في مثل المقام.

(١٩) أراد بهذا أنّ الملامة والإثم في المقام إنّما يكونان بالقول الذي يسخط الربّ (عزّ وعلا)، كالاعتراض عليه والسخط لقضائه لا بمجرّد دمع العين وحزن القلب. (المؤلّف).

(٢٠) صحيح البخاري ٢ / ٨٥ ، ط دار الفكر، بيروت.

(٢١) أنظر: الصفحة ١٤٦ من الجزء الأول من صحيح البخاري وباب البكاء على الميت من صحيح مسلم. وفي الطبعات الحديثة، البخاري ٨ / ١٦٥ و ٧ / ٢٢٤ و ٢ / ٨٠ دار الفكر، وصحيح مسلم ٣ / ٣٩، دار الفكر بيروت.

(٢٢) دلالة قوله: (وإنما يرحم اللّه من عباده الرحماء) على استحباب البكاء في غاية الوضوح كما لا يخفى. (المؤلّف).

(٢٣) أنظر: في باب البكاء عند المريض من صحيح البخاري ٢ / ٨٥ ، وفي باب البكاء على الميت من صحيح مسلم، ٣ / ٤٠. ولا يخفى اشتماله على كلٍّ من فعل النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وتقريره فهو حجة من جهتين.

(٢٤) هذا الحديث مشتمل على تقريره (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) على البكاء، وأمره به على أنّ مجرد صدوره من سيدة النساء (عليها السلام) حجة كما لا يخفى. (المؤلف).

ومنها: ما ذكره ابن جرير، وابن الأثير، وصاحب العقد الفريد وجميع أهل السير، وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل من حديث ابن عمر في صفحة ٤٠ من الجزء الثاني من مسنده قال: «رجع رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله من أُحُد، فجعلت نساء الأنصار يبكين على مَن قُتل من أزواجهنّ، فقال رسول اللّٰه (صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم):

«ولكن حمزة لا بواكي له».

(قال): ثم نام فاستنبه وهنّ يبكين».

(قال): «فهنّ اليوم إذا بكين يندبن بحمزة»[٢٧].

وفي ترجمة حمزة من الاستيعاب[٢٨] نقلا عن الواقدي قال: «لم تبكِ امرأة من الأنصار على ميّت بعد قول رسول اللّٰه (صلّى اللّٰه عليه وآله) «لكن حمزة لا بواكي له» إلى اليوم إلاّ بدأن بالبكاء على حمزة».

وحسبك تلك السيرة في رجحان البكاء على من هو كحمزة وإنْ بعد العهد بموته.

ولا تنس ما في قوله صلّى اللّٰه عليه وآله: «لكن حمزة لا بواكي له» من البعث على البكاء والملامة لهنّ على تركه، وحسبك به وبقوله «على مثل جعفر فلتبك البواكي» دليلا على الإستحباب.

وأخرج الإمام أحمد من حديث ابن عباس في صفحة ٣٣٥ من الجزء الأوّل من مسنده من جملة حديث ذكر فيه موت رقية بنت رسول اللّٰه (صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم) وبكاء النساء عليها قال: «فجعل عمر يضربهن بسوطه» فقال النبي صلّى اللّٰه عليه وآله: «**دعهن يبكين**».

ثم قال:

«**مهما يكن من القلب والعين فمن اللّٰه والرحمة**». وقعد على شفير القبر وفاطمة إلى جنبه تبكي».

قال: «فجعل النبي (صلّى اللّٰه عليه وآله) يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها[٢٩].

وأخرج أحمد أيضاً من حديث أبي هريرة حديثاً جاء فيه أنّه: مرّ على رسول اللّٰه (صلّى اللّٰه عليه وآله) جنازة معها بواكي فنهرهنّ عمر.

فقال له رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله:

«**دعهنّ، فإنّ النفس مصابة والعين دامعة**»[٣٠].

---

(٢٥) هذا أمر منه (صلّى اللّه عليه وآله) بالبكاء ندباً على أمثال جعفر من رجال الأمّة وحسبك به حجة على الإستحباب. (المؤلف).

(٢٦) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ١ / ٢٤٣.

(٢٧) مسند أحمد ٢ / ٤٠، ط بيروت، دار صادر، والمعجم الكبير للطبراني ١١ / ٢١٠، وكنز العمّال ١٣ / ٣٣٥، ح ٣٦٩٤٥، أُسد الغابة ٢ / ٤٨، وتاريخ الطبري ٢ / ٢١٠، دار الفكر.

(٢٨) للفقيه الحافظ المحدث ــ ابن عبدالبر القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣. (الميلاني)

(٢٩) مسند أحمد بن حنبل ١ / ٣٣٥، ط دار صادر.

(٣٠) مسند أحمد ٢ / ٣٣٣.

إلى غير ذلك مما لا يسعنا استيفاؤه.

وقد بكى يعقوب إذ غيّب الله ولده (**وَقالَ يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظيمٌ**)[٣١] حتى قيل: ـ كما في تفسير هذه الآية من الكشاف[٣٢] ـ ما جفّت عيناه من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاماً، وما على وجه الأرض أكرم على الله منه.

وعن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كما في تفسير هذه الآية من الكشاف أيضاً: أنّه سُئل جبرئيل (عليه السّلام) ما بلغ وجدُ يعقوب على يوسف قال:

«**وجد سبعين ثكلى قال: فما كان له من الأجر؟ قال: أجر مأة شهيد**[٣٣]**، وماساء ظنه بالله قط**»[٣٤].

قلت: أي عاقل يرغب عن مذهبنا في البكاء بعد ثبوته عن الأنبياء

(**وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْراهيمَ إِلاّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ**)[٣٥].

وأمّا ما جاء في الصحيحين من أنّ (الميت يعذب لبكاء أهله عليه)، وفي رواية: (ببعض بكاء أهله عليه)، وفي رواية: (ببكاء الحي)، وفي رواية: (يعذّب في قبره بما نيح عليه)، وفي رواية: (من يبك عليه يعذب)[٣٦].

فإنّه خطأ من الراوي، بحكم العقل والنقل.

قال الفاضل النووي: هذه الروايات كلّها من رواية عمر بن الخطاب وابنه عبدالله. قال: وأنكرت عائشة عليهما ونسبتهما إلى النسيان والاشتباه واحتجّت بقوله تعالى (**وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى**)الخ...[٣٧].

قلت: وأنكر هذه الروايات أيضاً عبدالله بن عبّاس، واحتجّ على خطأ راويها، والتفصيل في الصحيحين وشروحهما، وما زالت عائشة

وعمر في هذه المسألة على طرفي نقيض، حتّى أخرج الطبري[٣٨] في حوادث سنة ١٣ من تاريخه بالإسناد إلى سعيد بن المسيب قال: «لما توفي أبو بكر أقامت عليه عائشة النوح، فأقبل عمر بن الخطاب حتى قام ببابها، فنهاهن عن البكاء على أبي بكر، فأبين أن ينتهين، فقال عمر لهشام بن الوليد: ادخل فأخرج إليّ ابنة أبي قحافة. فقالت عائشة لهشام حين

---

(٣١) سورة يوسف: الآية ٨٤ .

(٣٢) الكشّاف ٢ / ٣٣٩.

(٣٣) هذا كالصريح في استحباب البكاء إذ ليس المستحب إلاّ ما يترتب الثواب على فعله كما هو واضح. (المؤلف).

(٣٤) الكشّاف ٢ / ٣٣٩.

(٣٥) سورة البقرة: الآية ١٣٠.

(٣٦) صحيح البخاري ٢ / ٨٣ ، ٥ / ٩، صحيح مسلم ٣ / ٤١ وسنن ابن ماجة ١ / ٥٠٨.

(٣٧) عند ذكر هذه الروايات في باب الميت يُعذّب ببكاء أهله عليه من شرح صحيح مسلم، ٦ / ٢٢٨، ط دار الكتاب العربي، سنة ١٤٠٧، وأنظر: مقدمة (العقد الثمين) للشوكاني المتوفى ١٢٥٠.

(٣٨) تاريخ الطبري: ذكر وفاة أبي بكر، ٢ / ٦١٤، ط بيروت الأعلمي.

سمعت ذلك من عمر: «إني أحرج عليك بيتي»، فقال عمر لهشام: «أدخل فقد أذنتُ لك»، فدخل هشام وأخرج أم فروة أخت أبي بكر إلى عمر، فعلاها بالدرة، فضربها ضربات، فتفرق النوّح حين سمعوا ذلك».

قلت: كأنّه لم يعلم تقرير النبي نسآء الأنصار على البكاء على موتاهن، ولم يبلغه قوله صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم: (لكن حمزة لا بواكي له)، وقوله: (على مثل جعفر فلتبكِ البواكي) وقوله: (وإنما يرحم اللّٰه من عباده الرحمآء).

ولعلّه نسي نهي النبي صلّى اللّٰه عليه وآله إيّاه عن ضرب البواكي يوم ماتت رقيّة بنت رسول اللّٰه (صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم)، ونسي نهيه إيّاه عن انتهارهن في مقام آخر مرّ عليك آنفاً.

ثم إذا كان البكاء على الميت حراماً، فلماذا أباح لنساء بني مخزوم
أن يبكين على خالد بن الوليد؟[٣٩] حتى ذكر محمّد بن سلام ـ كما في ترجمة خالد من الاستيعاب[٤٠] ـ : «إنّه لم تبقَ امرأة من بني المغيرة إلاّ وضعت لمّتها ـ أي حلقت رأسها ـ على قبر خالد» وهذا حرام بلا إرتياب واللّٰه أعلم.

---

(٣٩) وبكى هو على النعمان بن مقرن واضعاً يده على رأسه، كما نص عليه ابن عبدالبر في ترجمة النعمان من إستيعابه ٤ / ١٥٠٦ وفي أوائل الجزء الثاني من العقد الفريد قال: ولما نُعي النعمان بن مقرن إلى عمر بن الخطاب وضع يده على رأسه وصاح يا أسفاه على النعمان.. و بكاؤه على أخيه زيد معلوم بالتواتر.

(٤٠) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ / ٤٣١.

المطلب الثاني

في رثاء الميّت بالقريض

في رثاء الميّت

ويظهر من القسطلاني في شرح البخاري[٤١]: إنّ الجماعة يفضّلون القول فيه، فيحرّمون ما اشتمل منه على مدح الميّت وذكر محاسنه الباعث على تحريك الحزن وتهييج اللّوعة، ويبيحون ما عدا ذلك.

والحق إباحته مطلقاً، إذ لا دليل هنا يعدل بنا عن مقتضى الأصل، والنواهي التي يزعمونها إنّما يستفاد منها الكراهة في موارد مخصوصة، على أنّها غير صحيحة بلا ارتياب.

وقد رثى آدم (عليه السّلام) ولده هابيل[٤٢]، واستمرّت على ذلك ذريّته إلى يومنا هذا بلا نكير.

وأقرّ رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم أصحابه عليه مع إكثارهم من تهييج الحزن به، وتفننهم بمدائح الموتى فيه، وتلك مراثيهم منتشرة في كتب الأخبار، فراجع من الإستيعاب ـ إن أردت بعضها ـ أحوال سيدالشهداء حمزة، وعثمان بن مظعون، وسعد بن معاذ، وشماس بن عثمان بن الشريد، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وأبي خراش الهذلي، وأياس بن البكير الليثي، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وغيرهم.

ولاحظ من الإصابة أحوال ذي الجناحين جعفر بن أبي طالب، وأبي زيد الطائي، وأبي منان بن حريث المخزومي، والأشهب بن رميلة الدارمي، وزينب بنت العوام، وعبداللّٰه بن عبد المدان الحارثي، وجماعة آخرين لا تحضرني أسماؤهم.

ودونك كتاب الدرّة في التعازي والمراثي، وهو في أول الجزء الثاني من العقد الفريد، تجد فيه من مراثي الصحابة ومن بعدهم شيئاً كثيراً.

وليس شيء مما أشرنا إليه إلاّ وقد اشتمل على ما يهيّج الحزن، ويجدد اللّوعة بمدح الميت وذكر محاسنه.

ولمّا توفي رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم تنافست فضلاء الصحابة في رثائه، فرثته سيدة نسآء العالمين (عليها السلام) بأبيات

تُهيّج الأحزان، ذكر القسطلاني[٤٣] في إرشاد الساري بيتين منها وهما قولها عليها السلام:

ماذا على مَن شمَّ تربة أحمد *** أن لا يشمَّ مدى الزمان غواليا

---

(٤١) أنظر: باب رثاء النبي (صلّى اللّه عليه وآله) سعد بن خولي ص ٢٩٨ ج ٣ من إرشاد الساري للقسطلاني. (المؤلف).

(٤٢) فيما روى وقد ضعف.

(٤٣) إرشاد الساري ٣ / ٣١٨، باب رثاء النبي (صلى اللّه عليه وآله) سعد بن خولي.

صُبَّت عليَّ مصائب لو أنها *** صُبَّت على الأيام صرن لياليا

ورثته أيضاً بأبيات تثير لواعج الأشجان، ذكر ابن عبدربه المالكي بيتين منها في أوائل الجزء الثاني من العقد الفريد وهما:

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها *** وغاب مذ غبتَ عنّا الوحيُّ والكتبُ

فليت قبلك كان الموت صادفنا *** لما نعيت وحالت دونك الكثب

ورثته عمّته صفيّة بقصيدة يائية، ذكر ابن عبدالبر في أحوال النبي (صلّى اللّٰه عليه وآله) من استيعابه[٤٤] جملة منها.

ورثاه أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب بقصيدة لاميّة، ذكر بعضها صاحبا الاستيعاب والإصابة[٤٥] في ترجمة أبي سفيان المذكور.

ورثاه أبو ذويب الهذلي ـ كما يعلم من ترجمته في الإستيعاب

والإصابة[٤٦] ـ بقصيدة حائية.

ورثاه أبو الهيثم بن التيهان بقصيدة دالية، أشار إليها ابن حجر في ترجمة أبي الهيثم من إصابته[٤٧].

ورثته أم رعلة القشيرية بقصيدة رائية، أشار إليها العسقلاني في ترجمة أم رعلة من إصابته[٤٨].

ورثاه عامر بن الطفيل بن الحرث الأزدي بقصيدة جيمية، أشار إليها ابن حجر في ترجمة عامر من الإصابة[٤٩].

ومَن استوعب الإستيعاب، وتصفّح الإصابة واُسد الغابة، ومارس كتب الأخبار، يجد من مراثيهم المشتملة على تهييج الحزن بذكر محاسن الموتى شيئاً يتجاوز حدّ الأحصاء.

وقد أكثرت الخنساء ـ وهي صحابيّة ـ من رثاء أخويها صخر ومعاوية وهما كافران، وأبدعت في مدائح صخر، وأهاجت عليه لواعج الحزن فما أنكر عليها منكر.

وأكثر أيضاً متمم بن نويرة من تهييج الحزن على أخيه مالك في

مراثيه السائرة، حتى وقف مرة في المسجد وهو غاص بالصحابة أمام أبي بكر بعد صلاة الصبح واتكأ على سية قوسه فأنشد:

نعم القتيلُ إذا الرياح تناوحت *** خلف البيوت قُتِلَت يا ابن الأزور

ثم أومأ إلى أبي بكر ـ كما في ترجمة وثيمة بن موسى بن الفرات من وفيات ابن خلكان[٥٠] ـ فقال مخاطباً له:

---

(٤٤) الإستيعاب ١ / ٤٩.

(٤٥) المصدر ٤ / ١٦٧٥، الإصابة ٧ / ٣٦٦، رقم ١٠٦٨٩.

(٤٦) الإستيعاب ٤ / ١٦٥٠، الإصابة ٧ / ١١١.

(٤٧) الإصابة ٧ / ٣٦٦.

(٤٨) المصدر ٣ / ٤٧٣.

(٤٩) المصدر ٨ / ٣٩٠.

(٥٠) وفيات الأعيان ٦ / ١٦.

أدعوته باللّه ثم غدرته *** لو هو دعاك بذمّة لم يغدر

فقال أبو بكر: «واللّه ما دعوته ولا غدرته» ثم قال:

ولنعم حشو الدرع كان وحاسراً *** ولنعم مأوى الطارق المتنور

لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه *** حلو شمائله عفيف المأزر

وبكى حتى انحط عن سية قوسه، قالوا: «فمازال يبكي حتى دمعت عينه العوراء» فما أنكر عليه في بكائه ولا في رثائه منكر، بل قال له عمر: ـ كما في ترجمة وثيمة من الوفيات[٥١] ـ «لوددت أنّك رثيت زيداً أخي بمثل ما رثيت به مالكاً أخاك» فرثى متمم بعدها زيد بن الخطاب فما أجاد، فقال له عمر: «لما لم ترث زيداً كما رثيت مالكاً» فقال: «إنّه واللّه ليحرّكني لمالك ما لا يحركني لزيد».

واستحسن الصحابة ومَن تأخر عنهم مراثيه في مالك وكانوا يتمثّلون بها، كما اتفق ذلك من عائشة إذ وقفت على قبر أخيها عبد الرحمن ـ كما في ترجمته من الإستيعاب[٥٢] ـ فبكت عليه وتمثّلت:

وكنا كندماني جذيمة حقبة *** من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا

فلمّا تفرّقنا كأني ومالكاً *** لطول اجتماع لم نبت ليلةً معا

وما زال الرثاء فاشياً بين المسلمين وغيرهم في كلّ عصر ومصر لا يتناكرونه مطلقاً.

---

(٥١) المصدر.

(٥٢) الإستيعاب ٢ / ٨٢٦ و ٤ / ١٦٣٨.

المطلب الثالث

تلاوة الأحاديث المشتملة

على مناقب الميت ومصائبه

كما كانت عليه سيرة السلف.

وفعلته عائشة، إذ وقفت على قبر أبيها باكية. فقالت: كنتَ للدنيا مذلاً بإدبارك عنها، وكنت للآخرة معزاً بإقبالك عليها، وكان أجلّ الحوادث بعد رسول اللّٰه (صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم) رزؤك، وأعظم المصائب بعده فقدك.

وفعله محمّد بن الحنفية، إذ وقف على قبر أخيه المجتبى عليه السّلام فخنقته العبرة ـ كما في أوائل الجزء من العقد الفريد[٥٣] ـ ثم نطق فقال:

«يرحمك اللّٰه أبا محمّد، فإنْ عزّت حياتك فقد هدّت وفاتك، ولنعم الروح روح ضمّه بدنك، ولنعم البدن بدن ضمّه كفنك، وكيف

لا تكون كذلك؟ وأنت بقية ولد الأنبياء، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، غذّتك أكف الحق، وربيت في حجر الإسلام، فطبت حياً وطبت ميتاً، وإن كانت أنفسنا غير طيبة بفراقك، ولا شاكة في الخيار لك».

ثم بكى بكاءاً شديداً وبكى الحاضرون حتى علا نشيجهم.

ووقف أميرالمؤمنين عليه السّلام على قبر خباب بن الأرت في ظهر الكوفة، وهو أول مَن دفن هناك ـ كما نص عليه ابن الأثير في آخر تتمة صفين ـ فقال:

«رحم اللّٰه خباباً، لقد أسلم راغباً، وجاهد[٥٤] طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتُلي في جسمه أحوالا، ولن يضيّع اللّٰه أجرَ من أحسن عملا»[٥٥].

ولما توفّي أمير المؤمنين عليه السّلام، قام الخلف من بعده أبو محمّد الحسن الزكي عليه السلام خطيباً فقال: ـ كما في حوادث سنة ٤٠ من تاريخ ابن جرير وابن الأثير وغيرهما ـ .

«لقد قتلتم الليلة رجلا، واللّٰه، ما سبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد يكون بعده، واللّٰه إن كان رسول اللّٰه (صلّى اللّٰه عليه وآله) ليبعثه

في السرية وجبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، واللّٰه ما ترك صفراء ولا بيضاء... الخ»[٥٦].

---

(٥٣) العقد الفريد ٢ / ٣٧.

(٥٤) في المصدر: (هاجر).

(٥٥) الكامل; لابن الأثير ٣ / ١٩٨، حوادث سنة ٣٧، ط بيروت دار الكتب العلمية.

ووقف الإمام زين العابدين عليه السّلام على قبر جدّه أمير المؤمنين عليه السّلام فقال:

«أشهد أنك جاهدت في اللّه حق جهاده، وعملت بكتابه، و اتبعت سنن نبيه (صلّى اللّه عليه وآله) حتى دعاك اللّه إلى جواره فقبضك إليه باختياره، لك كريم ثوابه، وألزم أعداءك الحجة مع مالك من الحجج البالغة على جميع خلقه»[٥٧].

وعن أنس بن مالك ـ كما في العقد الفريد وغيره ـ قال: لما فرغنا من دفن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بكت فاطمة ونادت:

«يا أبتاه أجاب ربّاً دعاه، يا أبتاه مَن ربّه ما أدناه، يا أبتاه إلى جبرائيل ننعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه»[٥٨].

ولو أردنا أن نستوفي ما كان من هذا القبيل، لخرجنا عن الغرض المقصود.

وحاصله: أنّ تأبين الموتى من أهل الآثار النافعة بنشر مناقبهم وذكر مصائبهم، مما حكم بحسنه العقل والنقل، واستمرّت عليه سيرة السلف والخلف، وأوجبته قواعد المدنية، واقتضته أصول الترقي في المعارف، إذ به تُحفظ الآثار النافعة، وبالتنافس فيه تعرج الخطباء إلى أوج البلاغة، والقول بتحريمه يستلزم تحريم قراءة التاريخ، وعلم الرجال، بل يستوجب المنع من تلاوة الكتاب والسنة; لاشتمالهما على جملة من مناقب الأنبياء ومصائبهم، ومَن يرضى لنفسه هذا الحمق، أو يختار لها هذا العمى؟ نعوذ باللّه من سفه الجاهلين.

---

(٥٦) تاريخ الطبري ٤ / ١٢١، حوادث سنة ٤٠، ط بيروت الأعلمي، البداية والنهاية ٧ / ٣٦٨، ط دار إحياء التراث العربي، الإمامة والسياسة ١ / ١٤٠، ط القاهرة ١٤١٣.

(٥٧) كامل الزيارات: ٩٢ و ٩٣، باب زيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام وكيف يزار والدعاء عند ذلك.

(٥٨) المجموع; للنووي ٥ / ٣٠٨، ط دار الفكر، والبخاري ٥ / ١٤٤، ط دار الفكر عام ١٤٠١، والمستدرك; للحاكم النيسابوري ١ / ٣٨٢ ط بيروت دار المعرفة عام ١٤٠٦، والسنن الكبرى للبيهقي ٤ / ٧١ ط دار الفكر.

المطلب الرابع

في الجلوس حزناً

على الموتى

في الجلوس حزناً على الموتى

من أهل الحفائظ والأيادي المشكورة.

وحسبك في رجحان ذلك: ما تواتر عن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم من الحزن الشديد على عمّه أبي طالب وزوجته الصدّيقة الكبرى أم المؤمنين عليهما السلام، وقد ماتا في عام واحد فسمّي عام الحزن، وهذا معلوم بالضرورة من أخبار الماضين[٥٩].

وأخرج البخاري ـ في باب مَن جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن من الجزء الأول من صحيحه ـ بالإسناد إلى عائشة. قالت: «لما جاء النبي (صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم) قتل ابن حارثة وجعفر وابن رواحة جلس ـ أي في المسجد كما في رواية أبي داود ـ يعرف فيه الحزن»[٦٠].

وأخرج البخاري في الباب المذكور أيضاً عن أنس قال: «قنت رسول اللّٰه (صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم) شهراً حين قتل القرآء، فما رأيته حزن حزناً قطّ أشدّ منه. الحديث»[٦١].

والأخبار في ذلك أكثر من أنْ تحصى أو تستقصى.

والقول بأنّه إنّما يحسن ترتيب آثار الحزن إذا لم يتقادم العهد بالمصيبة، مدفوع بأنّ من الفجائع ما لا تخبو زفرتها ولا تخمد لوعتها، فقرب العهد بها وبعده عنها سواء. نعم، يتم قول هؤلاء اللاّئمين إذا تلاشى الحزن بمرور الأزمنة ولم يكن دليل ولا مصلحة يوجبان التعبّد بترتيب آثاره، وما أحسن قول القائل في هذا المقام:

خلّي أُميمة عن ملا *** مكِ ما المعزّي كالثكول

ما الراقد الوسنان مثل *** معذَّب القلب العليل

سهران من ألم وهذا *** نائمُ الليل الطويل

ذوقي أُميمة ما أذوقُ *** وبعده ماشئتِ قولي

---

(٥٩) أنظر: الكامل في التاريخ: لابن الأثير ١ / ٦٠٦، ط دار الكتب العلمية.

(٦٠) البخاري ٢ / ٨٣ ط دار الفكر و٥ / ٨٧ . وصحيح مسلم ٣ / ٤٥، ط دار الفكر، والسنن الكبرى للبيهقي ٤ / ٥٩، سنن أبي داود .

(٦١) البخاري ٢ / ٨٤ ، نيل الأوطار ٢ / ٢٩٧، ط بيروت.

على أنّ في ترتيب آثار الحزن بما أصاب رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم من تلك الفجائع وحلَّ بساحته من هاتيك القوارع، حكماً توجب التعبّد بترتيب آثار الحزن بسببها على كلِّ حال. والأدلّة على
ترتيب تلك الآثار في جميع الأعصار متوفرة، وستسمع اليسير منها إنْ شاء اللّٰه تعالى.

وقد علمت سيرة أهل المدينة الطيّبة، واستمرارها على ندب حمزة وبكائه مع بعد العهد بمصيبته، فلم ينكر عليهم في ذلك أحد، حتى بلغني أنهم لا يزالون إلى الآن إذا ناحوا على ميت بدأوا بالنياحة عليه، وما ذاك إلاّ مواساة لرسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله بمصيبته في عمّه، وأداءً لحق تلك الكلمة التي قالها في البعث على البكاء عليه وهي قوله: «**لكن حمزة لا بواكي له**»[٦٢].

وكان الأولى لهم ولسائر المسلمين مواساته في الحزن على أهل بيته والآقتداء به في البكاء عليهم، وقد لامَ بعض أهل البيت عليهم السلام مَن لم يواسهم في ذلك فقال:

«**ياللّٰه لقلب لا ينصدع لتذكار تلك الأمور، ويا عجباً من غفلة أهل الدهور، وما عذر أهل الإسلام والإيمان في إضافة أقسام الأحزان، ألم يعلموا أنّ محمّداً (صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم) موتور وجيع، وحبيبه مقهور صريع. قال: وقد أصبح لحمه (صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم) مجرّداً على الرمال، ودمه الشريف مسفوكاً بسيوف أهل الضلال، فياليت لفاطمة وأبيها عيناً تنظر إلى بناتها وبنيها، وهم ما بين مسلوب وجريح، ومسحوب وذبيح**، إلى آخر كلامه»[٦٣].

ومَنْ وقف على كلام أئمة أهل البيت في هذا الشان، لا يتوقف في ترتيب آثار الحزن عليهم مدى الدوران، لكنا منينا بقوم لا ينصفون، فإنّا للّٰه وإنا إليه راجعون.

---

(٦٢) تقدّم تخريجه، فراجع.

(٦٣) اللهوف، للسيد ابن طاوس: ٢٢.

المطلب الخامس

في الإنفاق عن الميت

في الإنفاق عن الميت

في وجوه البرّ والإحسان.

ويكفي في استحبابه: عموم ما دلّ على استحباب مطلق المبرات، والخيرات، على أنّ فعل النبي صلّى اللّٰه عليه وآله وقوله دالاّن على الإستحباب في خصوص المقام.

وحسبك من فعله: ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما[٦٤] بطرق متعددة: عن عائشة، قالت: «ما غرتُ على أحد من نساء النبي (صلّى اللّٰه عليه وآله)، مثل ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي (صلّى اللّٰه عليه وآله)، يُكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها

أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: «كأنّه لم يكن في الدنيا إلاّ خديجة»، فيقول: **«إنّها كانت وكانت وكان لي منها ولد»**.

قلتُ: وهذا يدلُّ على استحباب صلة أصدقاء الميت وأوليائه في اللّٰه عزّوجلّ بالخصوص.

ويكفيك من قوله صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم: ما أخرجه مسلم في باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه، من كتاب الزكاة، في الجزء الأول من صحيحه بطرق متعددة، عن عائشة: إنّ رجلا أتى النبي (صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم) فقال: «يا رسول اللّٰه إنّ أُمي افتلتت نفسها، ولم توص، أفلها أجر إن تصدّقتُ عنها؟» قال (صلّى اللّٰه عليه وآله): **«نعم!»**[٦٥].

ومثله: ما أخرجه أحمد من حديث عبداللّٰه بن عباس في الصفحة ٣٣٣ من الجزء الأوّل من مسنده، من أنّ سعد بن عباده قال: «إنّ ابن بكر أخابني ساعدة توفيت أُمّه وهو غائب عنها فقال: يا رسول اللّٰه: إنّ أمي توفيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدّقت بشيء عنها»؟ قال: **«نعم»** قال: «فإني اشهدك أن حائط المخرف صدقة عليها»[٦٦].

والأخبار في ذلك متضافرة[٦٧]، ولا سيما من طريق العترة الطاهرة[٦٨].

---

(٦٤) فراجع من صحيح البخاري ٤ / ٢٣١، باب تزويج النبي خديجة وفضلها، من صحيح مسلم: باب فضائل خديجة أم المؤمنين عليها السلام. (المؤلّف).

وللتفصيل راجع: مسند أحمد ٦ / ٢٧٩، والمستدرك للحاكم ٤ / ١٧٥، والمعجم الكبير للطبراني ١٠ / ٢٣ ح ١١ وأُسد الغابة ٥ / ٤٣٨. (المؤلف).

(٦٥) صحيح مسلم ٣ / ٨١ .

(٦٦) مسند أحمد بن حنبل ١ / ٣٣٣.

(٦٧) المعجم الأوسط للطبراني ١ / ٢١٧، مسند أبي يعلى الموصلي ٧ / ٤١٠، ح ٤٤٣٤، السنن الكبرى، للنسائي ٤ / ١٠٩ وكنز العمال / ٥٩٩ : ٦، ح ١٧٠٥٣.

(٦٨) وربما كان المنكر علينا فيما نفعله من المبرّات عن الحسين (عليه السّلام)، لا يقنع بأقوال النبي (صلّى اللّه عليه وآله) ولا بأفعاله، وإنما تقنعه أقوال سلفه، وأفعالهم، وحينئذ نحتج عليه بما فعله الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي، إذ مات لبيد بن ربيعة العامري الشاعر، فبعث الوليد إلى منزله عشرين جزوراً، فنحرت عنه، كما نصّ عليه ابن عبدالبر، في ترجمة لبيد، من الإستيعاب [٣ / ١١٣٦ ــ ١١٣٧]. (المؤلف).

فصل

في مآتمنا المختصّة بسيّد الشهداء عليه السّلام

كلّ مَن وقف على ما سلف من هذه المقدّمة، يعلم أنّه لا وجه للإنكار علينا في مآتمنا المختصة بسيد الشهداء عليه السّلام، ضرورة أنّه لا تشتمل إلاّ على تلك المطالب الخمسة، وقد عرفت إباحتها بالنسبة إلى مطلق الموتى من كافة المؤمنين.

وما أدري كيف يستنكرون مآتم انعقدت لمواسات النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم؟ وأُسِّست على الحزن لحزنه، أيبكي بأبي هو وأمي قبل الفاجعة ونحن لا نبكي بعدها؟ ما هذا شأن المتأسي بنبيّه، والمقتصّ لأثره، إنْ هذا إلاّ خروج عن قواعد المتأسين، بل عدول عن سنن النبيّين.

ألم يرو الإمام أحمد بن حنبل من حديث علي عليه السّلام، في الصفحة ٨٥ من الجزء الأول من مسنده، بالإسناد إلى عبداللّه بن نجيّ، عن أبيه أنّه سار مع علي (عليه السّلام)، فلما حاذى نينوى، وهو منطلق إلى صفين نادى: «**صبراً أبا عبداللّه، صبراً أبا عبداللّه بشطّ الفرات**».

قال: «قلت: وما ذاك»، قال:

«**دخلتُ على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ذات يوم وعيناه تفيضان، قلت: يا نبي اللّه، ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: قام من عندي جبرائيل قبل، فحدّثني أنّ ولدي الحسين يُقتل بشط الفرات، قال فقال: هل لك إلى أن أشمَّك من تربته؟ قال: قلت: نعم! فمدّ يده، فقبض قبضة من تراب فاعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا**»[٦٩].

وأخرج ابن سعد، كما في الفصل الثالث من الباب الحادي عشر، من الصواعق المحرقة لابن حجر[٧٠]، عن الشعبي، قال: «مرّ علي رضي اللّه عنه بكربلاء عند مسيره إلى صفين وحاذى نينوى، فوقف وسأل عن اسم الأرض، فقيل: كربلاء؟ فبكى حتى بلّ الأرضَ من دموعه، ثم قال:

---

(٦٩) مسند أحمد ١ / ٨٥، ط دار صادر، ومجمع الزوائد، للهيثمي ٩ / ١٨٧، ط دار الكتب العلمية سنة ١٤٠٨، مسند أبي يعلى الموصلي ١ / ٢٩٨، المعجم الكبير للطبراني ٣ / ١٠٥، ح ٢٨١١، كنز العمال ١٣ / ٦٥٥، ح ٣٧٦٦٣.

(٧٠) كل ما ننقله في هذا المقام عن الصواعق من هذا الحديث، وغيره موجود في أثناء كلامه في الحديث الثلاثين، من الأحاديث التي أوردها في ذلك الفصل، فراجع. (المؤلف).

«دخلت على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك (بأبي أنت وأُمي) قال: كان عندي جبرائيل آنفاً، وأخبرني أنّ ولدي الحسين، يقتل بشاطىء الفرات، بموضع يقال له كربلاء. (الحديث)[٧١].

وأخرج الملاّ ـ كما في الصواعق أيضاً ـ : «إنّ علياً مرّ بموضع قبر الحسين عليهما السلام فقال:

«هاهنا مناخ ركابهم، وهاهنا موضع رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمّد، يقتلون بهذه العرصة، تبكي عليهم السمآء والأرض»[٧٢].

ومن حديث أم سلمة ـ كما نصَّ عليه ابن عبدربه المالكي[٧٣]، حيث ذكر مقتل الحسين في الجزء الثاني من العقد الفريد ـ قالت: «كان عندي النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومعي الحسين، فدنا من النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فأخذته، فبكى، فتركته، فدنا منه، فأخذته فبكى فتركته، فقال له جبرائيل: «**أتحبّه يا محمّد**»؟ قال: «**نعم**»! قال: «**أمّا إنّ أُمتك ستقتله، وإن شئت أريتك الأرض التي يقتل بها**»، فبكى النبي
(صلّى الله عليه وآله وسلّم)[٧٤].

وروى الماوردي الشافعي، في باب إنذار النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بما سيحدث بعده،[٧٥] من كتابه (أعلام النبوة) عن عروة، عن عائشة، قالت: «دخل الحسين بن علي على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو يُوحى إليه، فقال جبرائيل: «**إنّ أمّتك ستفتتن بعدك وتقتل ابنك هذا من بعدك، ومدّ يده فأتاه بتربة بيضاء، وقال: في هذه يقتل ابنك، اسمها الطف**».

قالت: «فلمّا ذهب جبرآئيل، خرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى أصحابه والتربة بيده، وفيهم: أبو بكر، وعمر، وعلي، وحذيفة، وعثمان، وأبو ذر، وهو يبكي» فقالوا: «ما يبكيك يا رسول الله»؟ فقال:

«أخبرني جبرائيل: إنّ ابني الحسين، يقتل بعدي بأرض الطف،

وجاءني بهذه التربة، فأخبرني أنّ فيها مضجعه»[٧٦].

---

(٧١) أنظر: الصواعق المحرقة، لابن حجر: ١٩٣، عنه القندوزي في ينابيع المودّة ٣ / ١٢.

(٧٢) وهذا الحديث رواه أصحابنا ــ بكيفية مشجية ــ عن الباقر عليه الصلاة والسلام، ورووه عن هرثمة، وعن ابن عباس، وإن أردت الوقوف عليه، فدونك ص ١٠٨ ــ وما بعدها إلى ــ ص ١١٢ من الخصائص الحسينية للتستري، وأنظر: الصواعق المحرقة: ١٩٣.

(٧٣) في السطر ١٥ من الصفحة ٢٤٣ من جزئه الثاني المطبوع سنة ١٣٠٥، وفي هامشه زهر الآداب.

(٧٤) وأخرج البغوي في معجمه وأبو حاتم في صحيحه، من حديث أنس كما في الصواعق نحوه، وابن سعد في طبقاته ج ٨ ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام)، ح ٨١، والذهبي في ميزان الاعتدال ١ / ٨ ، وفي ط ص ١٣ في ترجمة أبان بن أبي عياش رقم ١٥.

(٧٥) وهو الباب الثاني عشر في الصفحة ٢٣ وفي طبعة الصفحة ١٨٢. من ذلك الكتاب، عنه ابن نما الحلي في كتاب ذوب النضار في شرح الثار: ٢١، ط قم جماعة المدرّسين، سنة ١٤١٦.

(٧٦) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ٣ / ١٠٧، ح ٢٨١٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ١٨٨.

وأخرج الترمذي[٧٧] ـ كما في الصواعق وغيرها ـ «إن أم سلمة رأت النبي (صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم) فيما يراه النائم باكياً، وبرأسه ولحيته التراب، فسألته فقال:

«قُتِلَ الحسين آنفاً».

قال في الصواعق: «وكذلك رآه ابن عباس، نصف النهار، أشعث أغبر، بيده قارورة، فيها دم يلتقطه، فسأله، فقال:

«دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم»[٧٨].

قال: «فنظروا فوجدوه قد قُتل في ذلك اليوم».

وأما صحاحنا، فإنّها متواترة في بكآئه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم على الحسين عليه السّلام في مقامات عديدة، يوم ولادته، وقبلها، ويوم السابع من مولده، وبعده في بيت فاطمة، وفي حجرته، وعلى منبره،

وفي بعض أسفاره، تارة يبكيه وحده، ومرة هو والملائكة، وأحياناً هو وعلي وفاطمة، وربّما بكاه هو أصحابه، وكان يقبّله في نحره ويبكي، ويقبّله في شفتيه ويبكي، وإذا رآه فرحاً يبكي، وإذا رآه حزيناً يبكي، بل صح أنّه قد بكاه آدم، ونوح، وإبراهيم، و إسماعيل، وموسى، وعيسى، وزكريا، ويحيى، والخضر، وسليمان عليهم السلام، وتفصيل ذلك كلّه موكول إلى مظانه من كتب الحديث[٧٩].

وأما أئمة العترة الطاهرة الذين هم كسفينة نوح، وباب حطّة، وأمان أهل الأرض، وأحد الثقلين اللذين لا يضلُّ مَن تمسك بهما ولا يهتدي إلى اللّٰه مَن صدَّ عنهما، فقد استمرت سيرتهم على الندب والعويل، وأمروا أوليائهم بإقامة مآتم الحزن، جيلا بعد جيل، فعن الصادق عليه السّلام ـ فيما رواه ابن قولويه في الكامل، وابن شهراشوب في المناقب، وغيرهما ـ :

«إنّ علي بن الحسين عليهما السلام بكى على أبيه مدّة حياته، وما وضع بين يديه طعام إلاّ بكى، ولا أتى بشراب إلاّ بكى، حتى قال له أحد مواليه: جُعلت فداك، يا ابن رسول اللّٰه؛ إني أخاف أن تكون من الهالكين، قال عليه السّلام: إنما أشكو بثّي وحزني إلى اللّٰه وأعلم من اللّٰه ما لا تعلمون»[٨٠].

وروى ابن قولويه وابن شهرآشوب أيضاً وغيرهما: إنّه كلّما كثر بكاؤه قال له مولاه: «أما آن لحزنك أن ينقضي»؟، فقال:

---

(٧٧) الترمذي في سننه ٥ / ٢٢٣ ح ٣٨٦٠، والحاكم في المستدرك ٤ / ١٩، والبخاري في تاريخه الكبير ٣ / ٣٢٤ ح ١٠٩٨.

(٧٨) وأخرجه من حديث ابن عباس أحمد بن حنبل في الصفحة ٢٨٣ من الجزء الأوّل من مسنده، وابن عبدالبر، والعسقلاني في ترجمة (الإمام) الحسين (عليه السّلام) من الاستيعاب، و الإصابة. وخلق كثير. (المؤلف).

(٧٩) أنظر: الصفحة ١٠٥ وما بعدها إلى الصفحة ٢٣٢ من الخصائص الحسينية، وإن شئت أنظر: جلاء العيون، والبحار، والمنتخب للطريحي، وأسرار الشهادة للدربندي، وسيرتنا وسنتنا للعلامة الأميني.

(٨٠) كامل الزيارات: ٢١٣ ح ١، باب ٣٥، عنه البحار ٤٦ / ٦٣ ح ١٩، والخصال للصدوق: ٥١٨ ح ٤، في باب ٢٣.

«ويحك، إن يعقوب عليه السّلام كان له اثنا عشر ولداً، فغيّب اللّه واحداً منهم، فابيضّت عيناه من كثرة بكائه عليه، واحدودب ظهره من الغم، وابنه حي في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي، وأخي، وعمومتي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني؟»[٨١].

وعن الباقر عليه السّلام[٨٢] قال:

«كان أبي علي بن الحسين (صلوات اللّه عليه) يقول: أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السّلام دمعة حتى تسيل على خدّه، بوّأه اللّه تعالى في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً; وأيّما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خدّه فينا، لأذى مسّنا من عدوّنا في الدنيا، بوّأه اللّه

في الجنة مبوّأ صدق، وأيّما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خده (من مضاضة ما أُوذي فينا)[٨٣]**، صرف اللّه عن وجهه الأذى، وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار»**[٨٤].

وقال الرضا[٨٥] ـ وهو الثامن من أئمّة الهدى، صلوات اللّه وسلامه عليهم ـ .

«إن المحرّم شهر كان أهل الجاهليّة يحرّمون فيه القتال، فاستحلّت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسُبيت فيه ذرارينا ونساؤنا، واضرمت فيه النار في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا[٨٦]**، ولم ترع لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم حرمة في أمرنا، إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإنّ البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام (ثم قال عليه السّلام:) كان أبي إذا دخل شهر المحرم، لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه».**

وقال (عليه السّلام)[٨٧]:

«مَن تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منّا كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومَن ذكر مصابنا، فبكى وأبكى، لم تبكِ عينه يوم تبكي العيون، ومَن جلس مجلساً يُحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»[٨٨].

وعن الريان بن شبيب ـ فيما أخرجه الشيخ الصدوق في العيون ـ قال: «دخلتُ على الرضا عليه السّلام في أول يوم من المحرّم، فقال لي:

---

(٨١) كامل الزيارات: ٢١٣ ح ٢، وسائل الشيعة ٣ / ٢٨٣ ح ١١، باب ٨٧، العوالم، الإمام الحسين: ٤٤٩.

(٨٢) فيما أخرجه جماعة، منهم ابن قولويه في كامله [كامل الزيارات: ٢٠١ ح ١، باب ٣٢] (المؤلفَ).

(٨٣) بين القوسين من المصدر.

(٨٤) كامل الزيارات: ٢٠١ ح ١، باب ٣٢.

(٨٥) فيما أخرجه الصدوق في أماليه: ١١١، وابن فتال النيسابوري المتوفى سنة ٥٠٨ في روضة الواعظين: ١٦٩ ط قم الشريف الرضي، وابن شهرآشوب في مناقبه ٣ / ٢٣٨، والإقبال للسيد ابن طاوس ٣ / ٢٨، ط مكتب الإعلام.

(٨٦) الثقل: وزان سبب: متاع المسافر، وكلّ شيء نفيس مصون.

(٨٧) فيما أخرجه الصدوق في أماليه: ١٣١، ح ٤، المجلس السادس عشر.

(٨٨) مكارم الأخلاق: ٣١٥، وسائل الشيعة ١٤ / ٥٠٢ ح ٤، البحار ٤٤ / ٢٧٨ ح ١ و ٢.

«يا ابن شبيب، إن المحرّم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية يحرّمون فيه الظلم والقتال، لحرمته، فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها، ولا حرمة نبيّها ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، إذ قتلوا في هذا الشهر ذريّته، وسبوا نساءه وانتهبوا ثقله، يا ابن شبيب إنْ كنت باكياً لشيء فابك للحسين (عليه السّلام) فإنه ذبح كما يُذبح الكبش[٨٩]**، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر**

رجلا ما لهم في الأرض من شبيه، ولقد بكت السموات السبع لقتله ـ إلى أنْ قال ـ: يا ابن شبيب إنْ سرّك أنْ تكون معنا في الدرجات العلى فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا. الحديث»[٩٠].

وقال (عليه السّلام) فيما أخرجه الصدوق في أماليه:

«مَن ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى اللّه له حوائج الدنيا والآخرة، ومَن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل اللّه عزّوجلّ يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقرّت بنا في الجنان عينه، الحديث»[٩١].

---

(٨٩) إن التعبير ــ كهذا ــ مما يدلك على غاية همجية القوم وشقائهم، وبعدهم عن العطف الإنساني، بالإضافة على قتلهم ريحانة الرسول الأعظم صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وهتكهم حرمته في سبطه روحي فداه.

وقد أجمل الإمام عليه أفضل الصلاة والسلام لما أدى عن الفاجعة وأهميتها بهذا الكلام القصير وأشار به إلى معنى جسيم يدركه الباحث المتعمق بعد التحليل والاختبار، ويندهش ــ المجموع البشري ــ لمثل هذه الرزية عندما علم انّه لم يوجد بين تلك الجموع المحتشدة في كربلا مَن يردعهم عن موقفهم البغيض، ولا أقل مَن تسائل بعضهم، لماذا نقاتل الحسين؟ وباي عمل استحق ذلك منا؟

أو هل كان دم الحسين (عليه السّلام) مباحاً إلى حد إباحة دم الكبش؟!، ويُذبح ــ بأبي وأمي ــ بلا ملامة لائم ومن دون خشية محاسب!!

والتاريخ ــ بأيدينا ــ لم يحدثنا عن وجود متردد في قتل الحسين عليه السّلام يوم عاشوراء بل اجتمعوا لذلك على قول واحد بلا رافض منهم يتخيل أن هناك محذوراً شرعياً أو عرفيّاً فيما يصنعون.

حتى أن الشهيد السعيد الحرّ بن يزيد الرياحي لما اعتزلهم ــ قبل أن يشرعوا بالقتال ــ ولحق بالحسين ــ روحي فداه ــ وعظهم وزجرهم، لم يتعظوا بكلامه ولم يهتدوا إلى خيرهم، ولم يتّبعوه وهم غير شاكين في الندامة اللاحقة بهم في مستقبلهم المظلم القريب.

وقد كان لالتحاق ــ الحرّ ــ الرياحي الأثر البالغ حيث أقام الحجة بعمله هذا على أهل الكوفة، وبرهن لهم إمكان التوبة، والرجوع إلى اللّه، واتّباع الحق كما فعل هو ــ سلام اللّه عليه ــ وقد استغل الفرصة ودافع عن الحسين (عليه الصلاة والسلام) واستشهد بين يديه، وسعد في الدنيا بخلود ذكره، وفاز بصحبة النبي العظيم صلّى اللّه عليه وآله في الفردوس الأعلى. (المؤلف).

(٩٠) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٦٨ ح ٥٨، إقبال الأعمال ٣ / ٢٩، وسائل الشيعة ١٠ / ٣٢٤ ح ١٨، ط دار إحياء التراث العربي.

(٩١) الأمالي للصدوق: ١٩١ ح ٤ المجلس ٢٧ والعلل ١ / ٢٢٧ ح ٢، باب ١٦٢، روضة الواعظين: ١٦٩، والمناقب لابن شهرآشوب ٣ / ٢٣٩ ط النجف.

وبكى صلوات اللّٰه عليه إذ أنشده دعبل بن علي الخزاعي قصيدته التائية السائرة حتى أغمي عليه في أثنائها مرتين، كما نصّ عليه الفاضل العباسي في ترجمة دعبل من معاهد التنصيص[٩٢] وغيره من أهل الأخبار.

وفي البحار وغيره: «إنّه عليه السّلام أمر قبل إنشادها بستر فضرب دون عقائله فجلسن خلفه يسمعن الرثاء، ويبكين على جدّهن سيد الشهدآء وأنّه قال يومئذ:

«يا دعبل من بكى أو أبكي على مصابنا ولو واحداً، كان أجره على اللّٰه. يا دعبل مَن ذرفت عيناه على مصابنا حشره اللّٰه معنا»[٩٣].

وحدث محمّد بن سهل كما في ترجة الكميت من معاهد التنصيص قال: «دخلتُ مع الكميت على أبي عبداللّٰه جعفر بن محمّد الصادق (عليه السّلام) في أيام التشريق فقال له: «جُعلت فداك ألا أُنشدك؟» قال: «إنها أيّام عظام». قال: «إنّها فيكم»، قال: «هات» وبعث أبو عبداللّٰه إلى بعض أهله، فقرب فأنشده في رثاء الحسين عليه السّلام فكثر البكاء حتى أتى على هذا البيت:

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم *** فيا آخراً أسدى له الغي أوّل

قال: «فرفع أبو عبداللّٰه رحمه اللّٰه تعالى يديه فقال:

«اللّهم اغفر للكميت ما قدّم وما أخّر، وما أسرّ وما أعلن، وأعطه حتى يرضى»[٩٤].[٩٥]

وفي كامل الزيارات بالإسناد إلى عبداللّٰه بن غالب قال: «دخلت على أبي عبداللّٰه عليه السّلام فانشدته مرثية الحسين عليه السّلام، فلما انتهيت إلى قولي: فيها (لبلية) البيت، صاحت باكية من وراء الستر: «يا أبتآه...»[٩٦].

---

(٩٢) معاهد التنصيص ٢ / ١٩٠.

(٩٣) البحار ٤٥ / ٢٥٧ ح ١٥، ط بيروت مؤسّسة الوفاء، العوالم: ٥٤٥، ومستدرك الوسائل ١٠ / ٣٨٦ ح ٢.

(٩٤) أنظر: نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار ٩ / ١٩٩.

(٩٥) بخ بخ هنيئاً لمَن نال من أئمة الهدى بعض ذلك، وأنت تعلم أنّه عليه السّلام لم يبتهل بالدعاء للكميت هذا الابتهال إلاّ لما دلّ عليه بيته هذا من معرفته بحقيقة الحال، وقد أكثر الشعراء من نظم هذا المعنى، فنظمه المهيار في قصيدته اللاّمية، وقبل ذلك نظمه الشريف الرضي فقال:

بنى لهم الماضون أساس هذه *** فعلوا على أساس تلك القواعد

وكأن سيدة نساء عصرها (زينب عليها السلام) أشارت إلى هذا المعنى بقولها مخاطبة ليزيد: «وسيعلم من سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين» بل أشار إليه معاوية إذ كتب إليه محمّد بن أبي بكر يلومه في تمرّده على أمير المؤمنين عليه السّلام، ويذكر له فضله وسابقته، فكتب له معاوية في الجواب ما يتضمن الإشارة إلى المعنى الذي نظمه الكميت، فراجع ذلك الجواب في كتاب صفين لنصر بن مزاحم أو شرح النهج لابن أبي الحديد أو مروج الذهب للمسعودي. وقد اعترف بذلك المعنى يزيد بن معاوية إذ كتب إليه ابن عمر يلومه على قتل الحسين فأجابه: «أمّا بعد فإنّا أقبلنا على فرش ممهدة ونمارق منضدة»، إلى آخر الكتاب وقد نقله البلاذري وغيره من أهل السير والأخبار، وفي كتابنا سبيل المؤمنين من هذا شيء كثير. فحقيق بالباحثين أن يقفوا عليه. (المؤلف).

(٩٦) كامل الزيارات: ١٠٥ ح ٣، والبحار ٤٤ / ٢٨٦ ح ٢٤، ومستدرك الوسائل ١٠ / ٣٨٥ ح ١ والبيت هو: (لبليّة تسقو حسيناً *** بمسقاة الثرى غير الترابِ).

وروى الصدوق في الأمالي وثواب الأعمال وابن قولويه، بأسانيد معتبرة، عن أبي عمارة قال: قال لي أبو عبدالله عليه السّلام: «يا أبا عمارة، أنشدني في الحسين»، فأنشدته، فبكى، ثم أنشدته فبكى. قال: «فوالله ما زلتُ أنشده ويبكي، حتى سمعت البكاء من الدار» فقال:

«يا أبا عمارة، مَن أنشد في الحسين بن علي (عليهما السلام) فأبكى خمسين فله الجنة، ومَن أنشد في الحسين فأبكى ثلاثين فله الجنة، ومَن أنشد في الحسين فأبكى عشرين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فأبكى عشرة فله الجنة، ومَن أنشد في الحسين فبكى فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فتباكى فله الجنة»[٩٧].

وروى الصدوق في ثواب الأعمال، بالإسناد إلى هارون المكفوف قال: «دخلت على أبي عبدالله الصادق عليه السّلام فقال لي: «يا أبا هارون أنشدني في الحسين عليه السّلام» فأنشدته، فقال لي: «أنشدني كما تنشدون». ـ يعني بالرقة ـ قال فأنشدته:

امرر على جدث الحسين *** فقل لأعظمه الزكية

قال: فبكى، ثم قال: «زدني» فأنشدته القصيدة الأخرى، قال: فبكى و سمعت البكاء من خلف الستر، فلما فرغت، قال:

«يا أبا هارون! من أنشد في الحسين (عليه السلام) شعراً فبكى وأبكى عشرة، كتبت لهم الجنة، إلى أن قال: ومن ذكر الحسين عنده فخرج من عينيه مقدار جناح ذبابة، كان ثوابه على الله عزّوجلّ، ولم يرض له بدون الجنة»[٩٨].

وروى الكشي بسند معتبر عن زيد الشحام قال: «كنّا عند أبي عبدالله (عليه السّلام) فدخل عليه جعفر بن عفان فقرّبه وأدناه، ثم قال: «يا جعفر!» قال: «لبيك جعلني الله فداك، قال: بلغني أنّك تقول الشعر في الحسين (عليه السلام) وتجيد»، فقال له: «نعم جعلني الله فداك» فقال: «قل!» فأنشده، فبكى ومَن حوله حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته، ثم قال:

«يا جعفر، والله لقد شهدك ملائكة الله المقربون ها هنا يسمعون قولك في الحسين (عليه السّلام)، ولقد بكوا كما بكينا وأكثر، (إلى أن قال:) ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى إلاّ أوجب الله له الجنة، وغفرله»[٩٩].

وروى ابن قولويه في الكامل بسند معتبر حديثاً، عن الصادق (عليه السّلام) جاء فيه:

---

(٩٧) كامل الزيارات: ٢٠٩ ح ٢ باب ٣٣، وثواب الأعمال للصدوق: ١١١ ح ٢، والأمالي للصدوق المجلس: ٢٩ ح ٦، والبحار ٤٤ / ٢٨٢.

(٩٨) ثواب الأعمال: ١١١ ح ١، ط بيروت الأعلمي.

(٩٩) رجال الكشي ٣ / ٥٧٤ رقم ٥٠٨ في ترجمة جعفر بن عفان الطائي; ط مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث.

«وكان جدّي علي بن الحسين (عليهما السلام) إذا ذكره ـ يعني الحسين عليه السّلام ـ بكى حتى تملأ عيناه لحيته، وحتى يبكي لبكائه

رحمة له مَن رآه، وإنّ الملائكة الذين عند قبره ليبكون، فيبكي لبكائهم كلّ مَن في الهواء والسماء، وما من باك يبكيه إلاّ وقد وصل فاطمة وأسعدها، ووصل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وأدّى حقنا، الحديث»[١٠٠].

وفي قرب الإسناد، عن بكر بن محمّد الأزدي قال: قال أبو عبداللّه (الصادق) عليه السّلام لفضيل بن يسار: «تجلسون وتتحدّثون؟» قال: «نعم جعلت فداك» قال عليه السّلام:

«إنّ تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا، فرحم اللّه مَن أحيى أمرنا، يا فضيل! مَن ذكرنا أو ذُكرنا عنده، فخرج من عينه مثل جناح الذباب[١٠١]

غفر اللّه له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر»[١٠٢].

وفي خصال الصدوق[١٠٣]: عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال:

«إن اللّه تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض فاختارنا، واختار لنا شيعة، ينصروننا، ويفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منّا وإلينا»[١٠٤].

---

(١٠٠) كامل الزيارات: ١٦٨ ح ٨ باب ٢٦، مدينة المعاجز، للسيد هاشم البحراني ٤ / ١٦٧ ح ٢٤٢.

(١٠١) كانت الأمم ــ ولم تزل ــ تقيم المهرجانات لعظمائها بشتى المناسبات، فمن وارد يستقبلونه يهتاف وتصفيق، أو جثمان يحملونه على الأكتاف صارخين، واعتادت الصحف ــ عالمية وأقليمية ــ بنشرها لتفاصيل تعطي قرآئها معلومات كافية عن تلك الأنباء وتطبع الصور المجناة عنها للغاية نفسها.

وقد تقوم وزارة التوجيه والإرشاد بإذاعة تلك الأخبار إذا كسبت الأهمية لديها بصورة مّا، وفي الساعة الأخيرة يثاب المساهمون ويجزون بالجميل فعلا، وقد يكافئون بالأفضل كلّ على حسبه، كما أنّ غيرهم يُحرم مما يقابل به المحسنون، آمنين كانوا أم غير آمنين، عن صميم كان عملهم أم لا، والقصد في عملهم صحيحاً كان أم خالطه خوف أو رجآء.

فإذا كان الحال عند الشعوب والقبائل والحكومات والدول ــ كما قدمنا ــ جزاء المحسن بإحسان مثل ما يؤدّيه من الواجب، أو على قدر ما يبديه بالنسبة إلى الفقيد وذويه، وإلى أصحاب العزاء وإهمال المفرط بل عقابه أحيانا، كان على اللّه سبحانه أن يبذل ما يناسب وشأنه العزيز ــ بكرمه وجوده ــ للمعزّين بأبي الشهدآء ــ روحي له الفداء ــ من الغفران والجنة والرضوان، وما ذلك عليه بعزيز ــ والأمر والملك له ــ حيث أنّ الحسين ثار اللّه ــ كما ورد ــ وأنّ معالم الدين ــ المحمدي (صلّى اللّه عليه وآله) الحنيف لم تعش إلاّ ببركة الحسين وأهل بيته (صلّى اللّه عليهم)، واللّه يعلم أنّ الذي يخرج من العين لا يكون إلاّ عن حرقة، ولم يكن إلاّ عند فيضان الأحاسيس وهيجان العواطف.

فالذي ورد في ثواب الباكين على الحسين (عليه السلام) ــ ولو مثل جناح الذباب ــ مجمع عليه عند المشيخة والأعلام، بلا مناقشة في نصوص الأحاديث المروية في هذا الشأن لتواترها، وكثرتها وقوة سندها ونباهة رجالها. (الميلاني).

(١٠٢) أنظر: قرب الإسناد: ٣٦ ح ١١٧، وثواب الأعمال: ١٨٧، ط قم الشريف الرضي، وابن إدريس في مستطرفات السرائر: ٢٢٦، ط قم.

(١٠٣) الخصال: ٦٣٥، ح١٠، ط قم جماعة المدرّسين، البحار ج٤٤، ص ٢٨٧، ح٢٦.

وفي كامل الزيارات بالإسناد إلى أبي عمارة المنشد قال: «ما ذكر الحسين (عليه السّلام) عند أبي عبدالله (الصادق عليه السّلام) في يوم قط فرئي متبسماً في ذلك اليوم إلى الليل. قال: «وكان أبو عبدالله عليه السّلام يقول:

«الحسين عبرةُ كلّ مؤمن»[١٠٥].

وفيه بالإسناد إلى الصادق عليه السّلام قال:

«قال الحسين (عليه السّلام): أنا قتيل العبرة، لا يذكرني مؤمن إلاّ استعبر»[١٠٦].

إلى غير ذلك من صحاح الأخبار المتواترة عن الأئمة الأبرار. وناهيكَ بها حجة على رجحان هذه المآتم، وإستحبابها شرعاً، فإنّ أقوال أئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام وأفعالهم، وتقريرهم، حجة بالغة; لوجوب عصمتهم بحكم العقل والنقل، كما هو مقرر في مظانه من كتب المتكلّمين من أصحابنا، والتفصيل في كتابنا: سبيل المؤمنين.

على أنّ الاقتداء بهم في هذه المآتم وغيرها لا يتوقف ـ عند الخصم ـ على عصمتهم، بل يكفينا فيه ما اتفقت عليه الكلمة من إمامتهم في الفتوى، وأنّهم في أنفسهم لا يقصرون عن الفقهاء الأربعة، والثوري، والأوزاعي، وأضرابهم، علماً ولا عملا.

وأنت تعلم أنّ هذه المآتم لو ثبتت عن أبي حنيفة أو صاحبيه أبي يوسف والشيباني مثلا، لاستبق الخصمُ إليها وعكف أيام حياته عليها، فلِمَ ينكرها علينا ويندّد بها بعد ثبوتها عن أئمة أهل البيت، يا منصفون؟!

أتراه يرى في أئمة الثقلين أمراً يقتضي الإعراض عنهم، أو يجد فيهم شيئاً يستوجب الإنكار على الآخذين بمذهبهم؟ أو إنّ هناك أدلّة خاصّة، تقصر الإمامة في الفتوى على أئمة خصومنا ولا تبيح الرجوع إلى غيرهم؟ كلاًّ، إنّ واقع الأمر وحقيقة الحال بالعكس.

---

(١٠٤) قد يرى بعضهم غموضاً في التوجيه المقصود من هذا الحديث، إذ أنّ الحزن على مصاب الحسين (عليه السّلام) والبذل في مأتمه عند فرق المسلمين وغيرهم من الملل الأخرى، لا يقصران عما تأتيه الشيعة فيلزم إما التوسع في معنى التشيع، وإما إهمال الباقين وحرمانهم من ثواب عملهم.

والذي أرتأيه ــ منذ بلغني وشاهدت ما تصنعه الطوائف غير المسلمة، وبعض الفرق الإسلامية (غير الشيعة) تجاه سيد الشهداء روحي له الفداء ــ أنه عليه السّلام يضمن لهم السعادة الأبدية بشفاعته عندالله، فلا يخرجون من الدنيا إلاّ مؤمنين، وفي الجنان آمنين، فيكونوا شيعة بعناية اللّه تقديراً لما بذلوه من المال والنفس وما عملوه في سبيله (صلّى اللّه عليه).

وهذا أمر جائز في حدّ ذاته وغير بعيد ــ بل واقع ــ ممن ملأ الكون من أحاديث جوده وكرمه مدّة حياته القدسية الإلهيّة، وقد جاء في الصحيح (إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة). وأمّا كرمه بعد شهادته إلى هذا التاريخ، فقد طبق الدنيا ــ شرقها وغربها ــ من حديثه، حيث لم يخب مَن تمسك به من ذوي الحاجات، فكم من كربة دفعها بإذن اللّه تعالى، لا يفرق بين من يمّه عند مرقده الطاهر، وبين مَن توجه إليه من مكانه ــ مهما بعد ــ وناداه لمشكلته، وإنّ لهؤلاء قصصاً يحضرني الآن منها شيء وافر ليس هذا محلّها. (الميلاني).

(١٠٥) كامل الزيارات: ٢١٤ ح ٢ باب ٣٦، والبحار ٤٤ / ٢٨٠.

(١٠٦) كامل الزيارات: ٢١٥ ح ٣ باب ٣٦، الأمالي للصدوق، المجلس الثامن والعشرون: ٢٠٠، ح ٨ .

هذا حديث الثقلين المجمع على صحته واستفاضته، قد أنزل العترة من منزلة الكتاب، وجعلها قدوة لأولي الألباب، فراجعه: في باب فضائل علي (عليه السّلام) من صحيح مسلم، أو في الجمع بين الصحيحين، أو الجمع بين الصحاح الستة، أو في حديث أبي سعيد الخدري من مسند أحمد بن حنبل، أو خصائص علي (عليه السّلام) للإمام النسائي، أو في تفسيري الثعلبي والبيهقي، وفي حلية الحافظ الأصفهاني، أو كتب الحاكم والطبراني وغيرها من كتب الحديث، وأنا أورده لك بلفظ الترمذي[١٠٧] بحذف الإسناد قال: «قال رسول اللّٰه (صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم)[١٠٨]:

«إني تارك فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلوا بعدي، (الثقلين) أحدهما أعظم من الآخر، كتاب اللّٰه عزّوجلّ حبل ممدود من السمآء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟

وقد زاد الطبراني:

فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم»[١٠٩].

قلت: لا يخفى أنّ تعليق عدم الضلال على التمسك بهما، يقتضي بحكم المفهوم ثبوت الضلال لِمَن تخلّى عن أحدهما، وناهيك به في وجوب اتّباع العترة، والإنقطاع في الدين إليها وإلى القرآن العزيز.

على أنّ اقترانهم بالكتاب ـ وهو معصوم ـ وجعلهم في وجوب

التمسك بهم مثله، دليل قاطع على حجية أقوالهم، وأفعالهم، وأنّ الرجوع في الدين إلى خلافهم ليس إلاّ كترك القرآن والرجوع إلى كتاب يخالف أحكامه، ولا تنس دلالة قوله (صلّى اللّٰه عليه وآله): (ولن يفترقا)، على عدم خلو الزمان ممّن يفرغ منهم عن القرآن والقرآن يفرغ عنه[١١٠].

---

(١٠٧) قال ابن حجر ــ بعد نقله عن الترمذي ــ في أثناء تفسيره للآية الثانية من الآيات التي أوردها في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر من صواعقه ما هذا لفظه:

ثم اعلم أنّ لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً (قال، ومر له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبه، وفي بعض تلك الطرق أنه قال ذلك في حجة الوداع بعرفة، وفي اخرى: إنّه قاله بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي أخرى: إنّه قال ذلك في غدير خم، وفي أخرى: إنّه قاله لما قام خطيباً ــ بعد انصرافه من الطائف ــ (قال) ولا تنافي، إذ لا مانع من أنّه كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن إهتماماً بشأن الكتاب العزيز، والعترة الطاهرة [أنظر: الصواعق المحرقة: ١٥٢] (المؤلف).

(١٠٨) أنظر: الترمذي في سننه ٥ / ٣٢٩ ح ٣٨٧٦، أحمد في مسنده ٣ / ١٤ و ٥ / ١٨٢، ط بيروت دار صادر، والبيهقي في سننه الكبرى ج / ١٨، ط دار الفكر، والهيثمي في مجمع الزوائد، ج / ١٦٣، ط دار الكتب العلمية، والمصنّف لابن أبي شيبة ٧ / ١٧٦ ج ٥.

(١٠٩) المعجم الكبير للطبراني ٣ / ٦٦ ح ٢٦٨١، ط القاهرة.

(١١٠) ومثله: قوله صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: «في كلّ خلف من أمتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ألا وإنّ أئمتكم وفدكم إلى اللّه عزّوجلّ، فانظروا مَن توفدون» أخرجه الملا، كما في تفسير الآية الرابعة من الآيات التي أوردها ابن حجر في الفصل الأول من الباب الحادي عشر من صواعقه. وفي هذا المعنى صحاح متواترة من طريق العترة الطاهرة، بل هو من ضروريات مذهبهم عليهم السلام. (المؤلف).

ثم إنّ قوله: «**فلا تقدّموهم فتهلكوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم**» نص صريح فيما قلناه كما لا يخفى.

وكم لهذا الحديث من نظير في الدلالة على وجوب الاقتدآء بالعترة الطاهرة، والمنع من مخالفتها، نستلفت الباحثين إلى ما أخرجناه من ذلك في مبحث العصمة من (سبيل المؤمنين)، وحسبك منه ما أخرجه الحاكم بسند صحّحه على شرط البخاري ومسلم[١١١]: «عن رسول اللّٰه (صلّى اللّٰه عليه وآله) قال من جملة حديث:

«**وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب ـ في بعض أحكام الدين ـ اختلفوا ـ في فتاويهم ـ فصاروا حزب إبليس**»[١١٢].

أليس هذا نصّاً في وجوب اتّباعهم، وحرمة مخالفتهم؟ وهل في لغة العرب أو غيرها عبارة أبلغ منه في إنذار مخالفيهم؟

وأخرج أحمد بن حنبل وغيره[١١٣] بالإسناد إلى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله قال:

«**النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت ذهبوا، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض**»[١١٤].

وفي رواية:

«**فإذا هلك أهل بيتي جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون**»[١١٥].

وفي هذا المعنى صحاح متضافرة من طريق العترة الطاهرة، ومتى كانوا أماناً لأهل الأرض، فكيف يستبدل بهم، وأنّى يعدل عنهم؟؟؟

وجاء من طرق عديدة يقوّي بعضها بعضاً ـ كذا قال ابن حجر[١١٦] ـ إنّه (صلّى اللّٰه عليه وآله) قال:

«**إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا**»[١١٧].

---

(١١١) كما في تفسير الآية السابعة من الآيات التي أوردها ابن حجر في الفصل الأول من الباب الحادي عشر من صواعقه، ونقله حاكماً بصحته أيضاً في باب الأمان ببقائهم من أواخر الصواعق.

(١١٢) الحاكم في مستدركه ٤ / ٧٥، ط دار المعرفة ١٤٠٦.

(١١٣) كما نص عليه ابن حجر في باب الأمان ببقائهم من صواعقه.

(١١٤) وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢ / ٤٤٨، والطبراني في المعجم الأوسط ٥ / ٢٣٧، ط دار الحرمين.

(١١٥) السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام): للدكتور محمد بيومي مهران الأستاذ في جامعة أمّ القرى: ٤٥، ط السفير ١٤١٨.

(١١٦) في تفسير الآية السابعة من الآيات التي أوردها في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر من صواعقه، وفي باب الأمان ببقائهم من أوآخر الصواعق أيضاً.

(١١٧) مجمع الزوائد ٩ / ١٦٨، والمعجم الصغير للطبراني ١ / ١٣٩، ط دار الكتب العلمية، وأيضاً في معجمه الصغير ٢ / ٢٢، وكنز العمال ١٢ / ٩٨ ح ٣٤١٦٩، و ح ٣٤١٧٠.

قال ابن حجر: وفي رواية مسلم: «**ومَن تخلّف عنها غرق**»[١١٨].

(قال) وفي رواية: «**هلك وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل مَن دخله غفر له**»[١١٩].

(قال) وفي رواية: «**غفر له الذنوب**».

ولا يخفى أنّ المراد من تمثيلهم بسفينة نوح، إنما هو إلزام الأمة باتّباع طريقتهم، والتمسك بالعروة الوثقى من ولايتهم، وليس المراد من

النجاة بذلك إلاّ رضوان اللّه عزّوجلّ، والجنة، كما أنّ المراد (بغرق المتخلفين عنهم أو هلاكهم) إنما هو سخط اللّه سبحانه والنار، والمراد من تمثيلهم (بباب حطة) إنما هو بعث الأمة على التواضع للّه عزّوجلّ بالأقتداء بهم والاستسلام لأوامرهم ونواهيهم، وهذا كله ظاهر كما ترى.

قال ابن حجر ـ بعد إيراد هذه الأحاديث في تفسير الآية السابعة من الآيات التي أوردها في الفصل الأول من الباب الحادي عشر من الصواعق ـ ما هذا لفظه:

«ووجه تشبيههم بالسفينة ـ فيما مرّ ـ أنّ مَن أحبهم وعظّمهم شكراً لنعمة مشرّفهم (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وأخذ بهدى علمآئهم نجا من ظلمة المخالفات، ومَن تخلّف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم، وهلك في مفاوز الطغيانَ... وبباب حطة (يعني ووجه تشبيههم بباب حطّة) إنّ اللّه تعالى جعل دخول ذلك الباب الذي هو باب إريحاء أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سبباً للمغفرة، وجعل لهذه الأمة مودة أهل البيت سبباً لها»، إلى آخر كلامه.

ولو أردنا إستيفاء ماجاء من صحاح السّنة في وجوب اتّباع أئمة أهل البيت، والإنقطاع في الدين إليهم عن العالمين; لطال المقام وخرجنا عن موضوع هذه المقدمة. وحاصله:

إنّ مآتمنا بما فيها من الجلوس بعنوان الحزن على مصائب

أهل البيت، والإنفاق عنهم في وجوه البر، وتلاوة رثائهم ومناقبهم، والبكاء رحمة لهم، سيرة قطعية قد استمرّت عليها أئمة الهدى من أهل البيت، وأمروا بها أوليآءهم على مر الليالي والأيام، فورثناها منهم، وثابرنا عليها، عملاً بما هو المأثور عنهم، فكيف ـ والحال هذه ـ تنكرونها علينا، وتقولون فيها ما تقولون؟، واللّه يعلم أنّها ليست كما تظنون.

دع بكاء الأنبياء والأوصياء، ودع عنك ما كان من ملائكة السماء، وقل لي: هل جهلت نوح الجن في طبقاتها؟ ورثاء الطير في وكناتها؟ و بكاء الوحش في فلواتها؟ ورسيس حيتان البحر في غمراتها؟ وهل نسيت الشمس وكسوفها، والنجوم

---

(١١٨) الحاكم في مستدركه ٣ / ١٥١، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ١٦٨. والطبراني في الكبير ٣ / ٤٥ ح ٢٦٣٧.

(١١٩) الطبراني في معجمه الصغير ٢ / ٢٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ١٦٨، والقندوزي ١ / ٩٣ ح ٢ و ح ٤.

وخسوفها، والأرض وزلزالها، وتلك الفجائع وأهوالها؟ أم هل ذهلت عن الأحجار ودمائها، والأشجار وبكائها، والآفاق وغبرتها، والسماء وحمرتها، وقارورة أم سلمة وحصياتها[١٢٠] وتلك الساعة وآياتها؟!

ألم يرو الملاّ عن أم سلمة ـ كما في الصواعق[١٢١] وغيرها ـ : أنها قالت: «سمعت نوح الجن على الحسين؟»[١٢٢].

وروى ابن سعد ـ كما في الصواعق أيضاً ـ : «إنها بكت حينئذ حتى غُشي عليها».

وأخرج أبو نعيم الحافظ في الدلائل عنها ـ كما نقله السيوطي[١٢٣] ـ قالت: «سمعت الجن تبكي على الحسين وتنوح عليه».

وأخرج ثعلب في أماليه ـ كما في تاريخ الخلفاء أيضاً ـ ، عن أبي خباب الكلبي قال: أتيت كربلاء، فقلت لرجل من أشراف العرب: «أخبرني بما بلغني أنكم تسمعونه من نوح الجن» فقال: «ما تلقى أحداً إلاّ أخبرك أنّه سمع ذلك»، قال: «فأخبرني بما سمعت أنت» قال: سمعتهم

يقولون:

مسحَ الرسولُ جبينه *** فله بريقٌ في الخدودِ

أبواه من عليا قريش *** وجدّه خيرُ الجدودِ[١٢٤]

وأخرج أبو نعيم الحافظ ـ في كتابه دلائل النبوة ـ ، عن نصرة الأزدية قالت: « لما قتل الحسين بن علي أمطرت السماء دماً، فأصبحنا وحبابنا وجرارنا مملوءة دماً».

قال ابن حجر ـ بعد إيراده في الصواعق ـ : «وكذا روي في أحاديث غير هذه (قال) ومما ظهر يوم قتله من الآيات أيضاً: إنّ السماء اسودّت اسوداداً عظيماً حتى رؤيت النجوم نهاراً» (قال): «ولم يرفع حجر إلاّ وجد تحته دم عبيط»[١٢٥].

---

(١٢٠) أشرنا بهذا إلى ما رواه الملاّ في سيرته وابن أحمد في زيادة المسند، كما في الصواعق عن أم سلمة، قالت من حديث: «ثم ناولني كفاً من تراب أحمر وقال: إنّ هذا من تربة الأرض التي يقتل بها (ولدي) فمتى صار دماً فاعلمي أنّه قد قتل، قالت: فوضعته في قارورة، وكنت أقول: إنّ يوماً يتحوّل فيه دماً ليوم عظيم» وفي رواية أخرى ــ كما في الصواعق أيضاً ــ «أنّ جبرائيل جآء بحصيات فجعلهن النبي (صلّى اللّه عليه وآله) في قارورة، قالت أم سلمة: فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلا يقول:

أيها القاتلون جهلا حسيناً *** إبشروا بالعذاب والتنكيل

قد لُعنتم على لسان ابن داود *** وموسى وصاحب الإنجيل

قالت: فبكيت وفتحت القارورة فإذا الحصيات قد جرت دماً».

(١٢١) كلّما ننقله هنا عن الصواعق موجود في أثناء كلامه في الحديث الثلاثين من الأحاديث التي أوردها في الفصل الثالث من الباب الحادي عشر. (المؤلف).

(١٢٢) أنظر: تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ٢ / ٢١٨، قم وابن أعثم الكوفي في فتوحه ٥ / ١٢٢، وابن شهراشوب في مناقبه ٤ / ٧٠، في آياته بعد وفاته، والطبراني في معجمه الكبير ٣ / ١٢٢ رقم ٢٨٦٩.

(١٢٣) في أحوال يزيد، من كتابه تاريخ الخلفاء: ١٦٦، (المؤلف).

(١٢٤) تاريخ الخلفاء: ١٦٦.

(١٢٥) الصواعق المحرقة: الفصل الثالث: ١٩٤ باب ١١.

وأخرج أبو الشيخ ـ كما في الصواعق أيضاً ـ: «إنّ السماء احمّرت لقتله (عليه السّلام) وانكسفت الشمس حتى بدت الكواكب نصف النهار وظن الناس أنّ القيامة قد قامت»[١٢٦].

قال: «ولم يرفع حجر في الشام إلاّ رؤي تحته دم عبيط»[١٢٧].

وأخرج عثمان بن أبي شيبة ـ كما في الصواعق وغيرها ـ: «إن الشمس مكثت بعد قتله (عليه السّلام) سبعة أيام ترى على الحيطان كأنّها ملاحف معصفرة من شدّة حمرتها وضربت الكواكب بعضها بعضاً»[١٢٨].

قال في الصواعق: ونقل ابن الجوزي عن ابن سيرين: «إنّ الدنيا اظلمّت ثلاثة أيام ثم ظهرت هذه الحمرة في السماء»[١٢٩].

قال: وقال ابن سعيد: «ما رفع حجر من الدنيا إلاّ وتحته دم عبيط ولقد مطرت السماء دَماً بقي. أثره في الثياب حتى تقطّعت»[١٣٠].

قال: وأخرج الثعلبي: «إنّ السماء بكت وبكاؤها حمرتها»[١٣١].

وقال غيره: «احمرّت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله، ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك».

وإنّ ابن سيرين قال: «أخبرنا أنّ الحمرة التي مع الشفق لم تكن قبل قتل الحسين (عليه السّلام)»[١٣٢].

قال: «وذكر ابن سعد: إنّ هذه الحمرة لم تر في السمآء قبل قتله».

إلى آخر ما هو مذكور في كتب السنة، مما يدلّك على انقلاب الكون بمقتله عليه السّلام وأنّه قد بكته السماء، وصخور الأرض دماً.

ولو فرضنا الخصم جاهلا بما في تلك الكتب مما سمعت بعضه، فهل يجهل ما قام به ابن نباته خطيباً على أعواده وتركه سنة الخطباء المسلمين في الجمعة الثانية من المحرم في كلّ سنة؟ وإليك ما اشتملت عليه تلك الخطبة بعين لفظه: «بكت لموته الأرض والسموات، وأمطرت دماً، واظلمّت الأفلاكُ من الكسوف، واشتد سواد السماء ودام ذلك ثلاثة أيام، والكواكب في أفلاكها تتهافت، وعظمت الأهوال حتّى ظن أنّ القيامة قد قامت». قال: «كيف لا؟ وهو ابن السيدة فاطمة الزهراء، وسبط سيد الخلائق دنياً وآخرة، وكان عليه الصلاة والسلام مِن حبّه في الحسين يقبّل شفتيه[١٣٣]، ويحمله كثيراً على كتفيه، فكيف لو رآه ملقى على جنبيه، شديد العطش والمآء بين يديه، وأطفاله يصيحون بالبكاء عليه؟ لصاح

---

(١٢٦) أنساب الأشراف، للبلاذري ٣ / ٢٠٩ رقم ٢١١، وابن عساكر: ٣٠١، ٣٦٢، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام).

(١٢٧) الطبقات الكبرى: ٩٠ ــ ٩١ ح ٣٢٣ ــ ٣٢٥، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام).

(١٢٨) أنظر أيضاً: تذكرة الخواص ٢ / ٢٣٢.

(١٢٩) تذكرة الخواص ٢ / ٢٣١.

(١٣٠) ابن سعد في طبقاته: ٩٠ ح ٣٢١، ترجمة الإمام الحسين، والصواعق: الفصل ٣ باب ١١ ص ١٩٤، وبغية الطلب في تاريخ حلب ٦ / ٢٦٣.

(١٣١) الثعلبي في تفسير الآية ٢٩ من سورة الدخان.

(١٣٢) ابن سعد في طبقاته: ٩١ ح ٣٢٦، والصواعق: فصل ٣ باب ١١ ص ١٩٤.

(١٣٣) الاختصاص للشيخ المفيد: ٢٠٧، ومدينة المعاجز: ٣ / ٣٠٠، ط مؤسّسة المعارف.

عليه الصلاة والسلام وخرّ مغشياً عليه». قال: «فتأسفوا رحمكم الله على هذا السبط السعيد الشهيد، وتسلّوا بما أصابه عمّا سلف لكم من موت الأحرار والعبيد، واتقوا الله حق تقواه» قال: وفي الحديث: «إذا حُشِر الناس في عرصات القيامة، نادى مناد من وراء حجب العرش: يا أهل الموقف: غضّوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمّد، فتجوز وعليها ثوب مخضوب بدم الحسين، وتتعلق بساق العرش وتقول:

«أنت الجبار العدل، إقض بيني وبين من قتل ابني، فيقضي الله بينها وبينه». ثم تقول: «اللهم شفّعني فيمَن بكى على مصيبتي»[١٣٤]. فيشفّعها الله تعالى فيهم» إلى آخر كلامه.

فهل ـ بعد هذا كلّه ـ تقول: إن البكاء على مصائب أهل البيت بِدعة؟! وهب أنّك لا ترجو شفاعة الزهراء، ولا تبكي لبكاء الأنبياء والأوصياء، فابكِ لبكاء الشمس والقمر، ولا يكن قلبك أقسى من الحجر، إبك لبكاء عمر بن سعد، أو عمرو بن الحجاج، والأخنس بن زيد، ويزيد بن معاوية، أو خولي، والسالب لحليّ فاطمة بنت الحسين! إبكِ لبكاء العسكر بأجمعه، فقد شهدتْ كتب السير ببكائهم، مع خبث أُمهاتهم وآبائهم، أيحسن منك ـ وأنت مسلم ـ أن يصاب رسول الله صلّى الله عليه وآله بهذه الفجائع، وتحلّ بساحته تلك القوارع، ثم تتخذها ظهرياً، وتكون عندك نسياً منسياً ما هذا شأن أهل الوفاء، ولا بهذا تكون المواساة لسيد الأنبياء!

ثم إنّ ذلك الإنقلاب الهائل وتلك الأحوال المدهشة ـ من الخسوف والكسوف ورجفة الأرض، وظلمة الأفق، وتهافت النجوم، وحمرة السماء، وبكاء الصخر الأصم دماً[١٣٥] ـ لم تكن إلاّ إظهاراً لغضب الله عزّوجلّ، وتنبيهاً على فظاعة الخطب، وتسجيلا لتلك النازلة في صفحات الأفق، لئلاّ تنسى على مرّ اللّيالي والأيام، وفيها مَن بعث الناس على استشعار الحزن، وادّثار الكآبة ما لا يخفى على أُولي الألباب.

---

(١٣٤) نور العين في مشهد الحسين، لأبي إسحاق الاسفراييني: ٨٣، ط المنار تونس، الأمالي للشيخ المفيد: ١٣٠، المجلس ١٥.

(١٣٥) وخير مرجع نرجع إليه في هذا المجال ذلك الكتاب القيّم (كامل الزيارات); لمؤلّفه الثقة الثبت أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه المتوفى ٣٦٨.

فصل

فلسفة مآتمنا المختصّة

بأهل البيت عليهم السّلام

علم الباحثون من مدققي الفلاسفة: أنّ في مآتمنا المختصّة بأهل البيت عليهم السلام أسراراً شريفة[١٣٦] تعود على الأمة بصلاح آخرتها

ودنياها، أنبّهك إليها بذكر بعضها وأُوكِل الباقي إلى فطنتك:

---

(١٣٦) نبهك إلى بعضها، حكيم الغربيين، وفيلسوف المستشرقين: الدكتور (جوزف) الفرنسي في كتابه: (الإسلام والمسلمون)، والمسيو (ماربين) الألماني في كتابه (السياسة الإسلامية)، وقد ترجمت جريدة (حبل المتين) الفارسية في ٨٢ من أعدادها الصادرة في سنة ١٧ فصلين، من ذينك الكتابين النفيسين يحتويان على أسرار شهادة الحسين، وفلسفة مآتمه (عليه السّلام)، فكان لهما دوي في العالم الإسلامي وأخذا في الشرق دوراً مهماً، وترجما بالتركية، والهندية، وعرّبهما سيدنا الشريف العلامة الباحث السيد صدر الدين الموسوي نجل الإمام الكبير حجة الإسلام وآية اللّه في الأنام، قدوتنا المولى السيد إسماعيل الصدر أبقاه اللّه، فنشرت مجلة العلم أحد الفصلين، ومجلة العرفان نشرت الآخر، وإليك ما ذكره الدكتور (جوزف) تحت عنوان الشيعة وترقياتها المحيرة للعقول ــ قال من جملة كلام له طويل: لم تكن هذه الفرقة (يعني الشيعة) ظاهرة في القرون الأولى الإسلامية كأختها، ويمكن أن تنسب قلتهم إلى سببين = أحدهما = إن الرياسة والحكومة التي هي سبب إزدياد تابعي المذهب كانت بيد الفرقة الأخرى، والسبب الآخر هو القتل والغارات التي كانت تتوالى عليهم، ونظراً لحفظ نفوس الشيعة حكم أحد أئمتهم في أوائل القرن الثاني عليهم بالتقية، فزادت في قوتهم لعدم تمكن العدو القوي الشكيمة من قتلهم، والإغارة عليهم، بعد أن لم يكونوا ظاهرين، وصاروا يعقدون المجالس سرّاً ويبكون على مصائب الحسين، واستحكمت هذه العاطفه في قلوبهم على وجه لم يمض زمان قليل إلاّ وارتقوا، حتى صار منهم الخلفاء والسلاطين والوزراء، وهؤلاء بين مَن أخفى مذهبه وتشيعه، وبين مَن أظهره، و بعد أمير تيمور حيث رجعت السلطنة في إيران إلى الصفوية، صارت إيران مركز فرقة الشيعة، وبمقتضى تخمين بعض سوّاح فرنسا: إنّ الشيعة فعلا: سدس المسلمين أو سبعهم، ونظراً إلى هذا الترقي الذي حازته فرقة الشيعة في زمان قليل، من دون جبر وإكراه، يمكن ان يقال: إنهم سيفوقون سائر فرق الإسلام بعد قرن، أو قرنين، والسبب في ذلك هو إقامة عزاء الحسين الذي قد جعله كلّ واحد منهم داعياً إلى مذهبه، ولا يوجد اليوم مكان فيه الواحد أو الإثنان من الشيعة إلاّ ويقيمان فيه عزاء الحسين، ويبذلان في هذا السبيل الأموال الكثيرة، فقد رأيت في نزل (مارسل) شيعياً عربياً من أهالي البحرين يقيم مأتم الحسين وهو منفرد، ويرقى المنبر ويقرأ في كتاب ويبكي، ثم يقسم ما أحضر من الطعام على الفقراء. هذه الطائفة تبذل الأموال في هذا السبيل على وجهين:

فبعضهم يبذلها من خالص أمواله في كلّ سنة بقدر استطاعته، وصرفيات هذا القسم تزيد على ملايين فرنك.

وبعضهم يعين أوقافاً لهذا المشروع لخصوص هذه الطائفة وهذا القسم أضعاف الأول.

ويمكن أنّ يقال: إن جميع فرق الإسلام من حيث المجموع لا يبذلون في سبيل تأييد مذهبهم بمقدار ما تبذله هذه الفرقة في سبيل ترقيات مذهبها، وموقوفات هذه الفرقة ضعفا أوقاف سائر المسلمين، أو ثلاثة أضعافها، كلّ واحد من هذه الفرقة هو في الحقيقة داع إلى مذهبه من حيث يخفى على سائر المسلمين، بل أن الشيعة أنفسهم لا يدركون هذه

الفائدة المترتبة على عملهم، وليس في نظرهم إلا الثواب الاخروي، ولكن حيث أن كلّ عمل في هذا العالم، لابد وأن يكون له أثر طبيعي في العالم الإجتماعي، قصده الفاعل أو لم يقصده، لم تحرم هذه الفرقة فوائد هذا العمل الطبيعية في هذا العالم، ومن المعلوم أنّ مذهباً دعاته خمسون أو ستون مليوناً، لابدّ وأن يرتقي أربابه على وجه التدريج إلى ما يليق بشأنهم، حتى أنّ الرؤساء الروحانيين من هذه الفرقة وسلاطينها ووزرائها، لم يخرجوا عن صفة كونهم دعاة، وسعي الفقراء والضعفاء في محافظة إقامة عزاء الحسين من حيث انتفاعهم من هذا الباب أكثر من الآعيان والآكابر، لأنّهم يرون في ذلك خير الدنيا والآخرة، لهذا ترى جماعة كثيرين من عقلاء هذه الفرقة قد تركوا سائر أشغالهم المعاشية، وتفرّغوا لهذا العمل وهم يكابدون المشاق في تحرّي العبارات الرائقة، والجمل الواضحة، عند إلقاء فضائل رؤساء دينهم ومصائب أهل البيت، على المنابر في المجالس العمومية، ولأجل هذه المشقات التي اختارتها هذه الجماعة فاق خطباء هذه الفرقة على خطباء جميع فرق المسلمين، وحيث إنّ تكرار الأمر الواحد يوجب اشمئزاز القلوب ومللها وعدم التأثير تسعى هذه الجماعة في ذكر تمام المسائل الإسلامية الراجعة إلى مذهبهم بهذا العنوان على المنابر، حتى آل الأمر إلى عوام الشيعة بفضل هؤلاء الخطباء أن أصبحوا أعرف بمسائل مذهبهم من معرفة كلّ فرقة من فرق المسلمين بمذهبها، كما أنّ اكتساب الشيعة واحترافهم بهذه الوسيلة وسائر الوسائل الراجعة إليها أيضاً أكثر من سائر المسلمين، ولو نظرنا اليوم في أقطار العالم، نرى أنّ الأفراد التي هي أولى بالمعرفة والعلم والصنعة والثروة إنما توجد بين الشيعة، والدعوة التي قام بها الشيعة أولى بالمعرفة والعلم والصنعة، والثروة إنما توجد بين الشيعة، والدعوة التي قام بها الشيعة إلى مذهبهم أو سائر الفرق الإسلامية غير محدودة، بل إنّ آحاد وأفراد الطائفة دعاة وما دخلوا بين أمّة إلاّ وسرى هذا الأثر في قلوبها، وليس العدد الذي نراه اليوم في الهند من الشيعة إلاّ هو أثر إقامة هذه المآتم. الشيعة لم تؤيد دينها بقوة ولا سيف، حتى في زمن الصفوية، بل إنّهم بلغوا هذه الدرجة من الترقي المحير للعقول بقوة الكلام والدعوة التي أثرها أمضى من السيف. ولقد بلغ اهتمام هذه الفرقة في أداء مراسم مذهبها مبلغاً عظيماً حتى جعلت ثلثي المسلمين من أتباع سيرتها، بل اشترك معها كثير من الهنود والمجوس وسائر المذاهب، ومن المعلوم أنّ بعد مضي قرن ووصل هذه الأعمال بالأرث إلى أبناء أولئك الطوائف يذعنون بها، ويصدّقون هذا المذاهب، وبما أنّ فرقة الشيعة تعتقد بأنّ جميع المطالب والمقاصد موكول نجاحها إلى أكابر مذهبهم، وهم يفزعون إليهم في قضاء الحوائج، ويستمدون منهم عند الشدائد، سرت هذه الروح أيضاً إلى سائر الفرق التي اشتركت معهم في تلك الأعمال والأفعال، ومن المعلوم أنّ بمجرد قضاء حاجتهم وبلوغ آمالهم، تزداد عقيدتهم بهذا المذهب رسوخاً.

من هذه القرائن والأسباب، يمكننا أن نقول: لا يمضي على هذه الفرقة زمان قليل إلاّ وتفوق سائر المسلمين من حيث العدد، وكانت هذه الفرقة قبل قرن أو قرنين، تلازم التقية فيما عدا إيران، نظراً لقلّتهم، وعدم قدرتهم على إظهار شعائر مذهبهم، ولكن من يوم استولت الدول الغربية على الممالك الشرقية، ومنحت جميع المذاهب الحرية قامت هذه الفرقة تقيم شعائر مذهبها علناً في كلّ مكان، واستفادوا من هذه الحريّة فائدة تامة حتى أنّهم تركوا التقية.

لهذه الأسباب المذكورة كانت هذه الفرقة أعرف من غيرها بمقتضيات العصر الحاضر، وأكثر سعياً باكتساب المعاش وتحصيل المعارف، لذلك ترى العمال في هذه الفرقة أكثرمما تراه في سائر فرق المسلمين; لاشتغال الغالب منهم المستلزم لمتابعة غير الغالب، مضافاً إلى أنّ مثابرتهم على العمل مما توجب إحتياج الغير إليهم، كما أنّ اختلاطهم مع سائر الفرق وصلاتهم الودادية مع غيرهم تلازم غالباً اشتراك الغير في مجالسهم ومحافلهم، فيسمعون أصول مذهبهم، ويصغون إلى كلماتهم وعباراتهم، وبتكرار ذلك يأنسون بطريقتهم ومذهبهم، وهذا هو عمل الدعاة. والأثر الذي يترتب على هذه السيرة هو الأثر الذي يتطلّبه جميع ساسة الغرب في رقي دين المسيح مع تلك المصارف الباهضة.

ومن جملة الأمور السياسية التي أظهرها أكابر فرقة الشيعة بصبغة مذهبية منذ قرون، وأوجبت جلب قلب البعيد والقريب هو: قاعدة التمثيل باسم الشبيه في مآتم الحسين، وقد قرر حكماء الهند التمثيل; لأغراض ليس هذا موضع ذكرها وجعلوه من أجزاء عباداتهم، فأخذته أورباو أخرجته بمقتضى السياسة بصورة التفرج، وصارت تمثل الأمور المهمة السياسية في دور التمثيل الخاصة والعامة، وجلبت القلوب بسببه وأصابت بسهم غرضين: تفريج النفوس، وجلب القلوب في الأمور السياسية، والشيعة قد استفادت من ذلك فوائد كاملة، وأظهرته بصبغة دينية. ويمكن القول: بأن الشيعة قد أخذت ذلك من الهنود، وكيف كان، فالأثر الذي ينبغي أن يعود من التمثيل إلى قلوب الخواص والعوام قد عاد، ومن المعلوم أنّ تواتر إقامة المآتم وذكر المصائب الواردة على أكابر دينهم والمظالم التي وردت على الحسين (عليه السّلام) مع تلك الأخبار الواردة في فضل البكاء على مصائب آل محمّد (صلّى اللّه عليه وآله) إذا انضمّت إلى تمثيل تلك المصائب تكون شديدة الأثر، وتوجب رسوخ عقائد خواص هذه الفرقة وعوامها فوق ما يتصور. وهذا هو السبب الذي لم يسمع من ابتداء ترقي مذهب الشيعة إلى الآن أن ترك بعضهم دين الإسلام أو دخل في سائر الفرق الإسلامية.

هذه الفرقة تقيم التمثيل على أقسام مختلفة، فتارة في مجالس خصوصية وأمكنة معينة، و حيث أنّ الفرق الأخرى قلما تشترك معهم في المجالس، اخترعوا تمثيلا خاصاً وصاروا يدورون به في الأزقة والطرقات وبين جميع الفرق، فتتأثر قلوب جميع الفرق من القريب والبعيد عين الأثر الذي يحصل من التمثيل، ولم يزل هذا العمل يزداد إليه توجه الأنظار من الخاص والعام حتى قلد الشيعة فيه بعض الفرق الإسلامية والهنود واشتركوا معهم في ذلك، وهو في الهند أكثر رواجاً من جميع الممالك الإسلامية، كما أنّ سائر فرق الإسلام هناك أكثر اشتراكاً مع الشيعة في هذا العمل من سائر البلاد، ويغلب على الظن أنّ أصول التمثيل بين الشيعة قد تداول في زمن الصفوية الذين هم أوّل من نال السلطنة بقوة المذهب، و أجاز العلماء والرؤساء الروحانيون هذه الأصول.

ومن جملة الأمور التي أوجبت رقي هذه الفرقة وشهرتهم ــ في كلّ مكان ــ هو تعرفهم، بمعنى أنّ هذه الطائفة قد جلبت إليها قلوب سائر الفرق من حيث الجاه والقوة، والشوكة والاعتبار بواسطة المجالس والمآتم والشبيه واللطم والدوران وحمل الرايات والألوية في عزاء الحسين. إنّ من المعلوم أنّ كلّ جمعية وجماعة تجلب إليها الأنظار والخواطر بدرجة ما، مثلا لو كان في بلد عشرة آلاف متفرقين، وفي محلّ ألف نفس مجتمعة، كانت شوكة الألف المجتمعين وابّهتهم في أنظار الخاصة والعامة أكثر من العشرة آلاف المتفرقين، مضافاً إلى أنّهم اجتمع ألف نفس انضم إليهم من غيرهم، مثل عددهم، إما للتفرّج، أو لأجل صداقة ورفاقة، أو لأغراض اخرى، وبهذا الانضمام تزيد شوكة الألف وقوتهم في الأنظار وتتضاعف.

ومن الأمور الطبيعية المؤيدة لفرقة الشيعة في تأثير قلوب سائر الفرق هو: إظهار مظلومية أكابر دينهم، وهذا التأثير من الأمور الفطرية; لأنّ كلّ أحد بالطبع يأخذ بيد المظلوم ويحب نصرة الضعيف والمظلوم على القوي، والطبائع البشرية أميل إلى الضعيف والمظلوم ولو كان مبطلاً من الظالم وإن كان محقاً، ولا سيما إذا مرّت عليه السنون والأعوام، وهؤلاء مصنفوا أوروبا الذين ذكروا في كتبهم تفصيل مقاتلة الحسين وأصحابه وقتله مع أنّهم لا يعتقدون بهم يذعنون بالمظلومية لهم ويعترفون بظلم وتعدّي قاتليهم وعدم رحمتهم، ولا يذكرون أسماءهم إلاّ مشمئزين، وهذه الآمور الطبيعية لا يقف أمامها شيء، وهذا السرّ من المؤيدات الطبيعية لفرقة الشيعة.

وقال (المسيومار بين) حكيم الألمان وفيلسوف المستشرقين ما هذا نصّ تعريبه:

إنّ عدم معرفة بعض مؤرخينا بحقيقة الحال، أوجب أن ينسبوا في كتبهم طريقة إقامة الشيعة لعزاء الحسين إلى الجنون! ولكن جهلوا مقدار تغيير هذه المسألة وتبديلها في الإسلام، فإنّا لم نر في سائر الأقوام ما نراه في شيعة الحسين من الحسيات السياسية والثورات المذهبية بسبب إقامة عزاء الحسين، وكلّ من أمعن النظر في رقي شيعة علي الذين جعلوا إقامة عزاء الحسين شعارهم في مدة مائة سنة، يذعن أنّهم فازوا بأعظم الرقي، فإنّه لم يكن قبل مائة سنة من

فمنها: إنّها جامعة إسلامية، ورابطة إمامية، باسم النبي وآله صلوات اللّٰه عليهم أجمعين، ينبعث عنها الاعتصام بحبل اللّٰه عزّوجلّ، والتمسك بثقلي رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله، وفيها من اجتماع القلوب على أداء أجر الرسالة بمودة القربى، وترادف العزائم على إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام ما ليس في غيرها.

وحسبك في رجحانها ما يتسنى بها للحكيم من إلقاء المواعظ والنصائح، وإيقاف المجتمعين على الشؤون الإسلامية، والأمور الإمامية ولو إجمالا، وبذلك يكون أمل العاملي، نفس أمل إخوانه في العراق وفارس والبحرين والهند وغيرها من بلاد الإسلام.

ولا تنس ما يتهيأ للمجتمعين فيها من الإطلاع على شؤونهم، والبحث عن شؤون إخوانهم النائين عنهم، وما يتيسر لهم حينئذ من تبادل الآراء فيما يعود عليهم بالنفع، ويجعلهم كالبنيان المرصوص، يشدّ بعضه بعضاً، أو كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضواً أنَّت له سائر

الأعضاء، وبذلك يكونون مستقيمين في السير على خطة واحدة يسعون فيها وراء كلّ ما يرمون إليه.

ومنها: إنّ هذه المآتم دعوة إلى الدين بأحسن صورة وألطف أسلوب، بل هي أعلا صرخة للإسلام توقظ الغافل من سباته، وتنبّه الجاهل من سكراته، بما تشربه في قلوب المجتمعين، وتنفثه في آذان المستمعين، وتبثّه في العالم وتصوره

شيعة علي والحسين في الهند إلاّ ما يعد بالأصابع، واليوم هم في الدرجة الثالثة من حيث الجمعية إذا قيسوا بغيرهم، وكذلك هم في سائر نقاط الأرض، وإذا قسنا دعاتنا مع تلك المصارف الباهضة والقوة الهائلة، والشيعة ترى دعاتنا لم يحظوا بعشر ترقيات هذه الفرقة، وإن كان قسسنا يحزنون القلوب بذكر مصائب المسيح، ولكن لا بذلك الشكل والأسلوب المتداول بين شيعة الحسين، ويغلب على الظن أنّ سبب ذلك هو: إنّ مصائب الحسين أشد حزناً وأعظم تأثيراً من مصائب المسيح.

فعلى مؤرخينا أن يعرفوا حقيقة رسوم الأغيار وعاداتهم ولا ينسبوها إلى الجنون، وإني أعتقد بأنّ بقاء القانون الإسلامي وظهور الديانة الإسلامية وترقي المسلمين هو مسبب عن قتل الحسين وحدوث تلك الوقائع المحزنة، وهكذا ما تراه اليوم بين المسلمين من حسن السياسة، وإباء الضيم، ما هو إلاّ بواسطة عزاء الحسين، وما دامت في المسلمين هذه الملكة والصفة لا يقبلون ذلاً ولا يدخلون في أسر أحد.

ينبغي لنا أن ندقق النظر في ما يذكر من النكات الدقيقة الحيوية في مجالس إقامة عزاء الحسين، ولقد حضرت دفعات في المجالس التي يذكر فيها عزاء الحسين في اسلامبول مع مترجم، وسمعتهم يقولون: ــ الحسين الذي كان إمامنا، ومقتدانا، ومَن تجب طاعته ومتابعته علينا، لم يتحمل الضيم، ولم يدخل في طاعة يزيد، وجاد بنفسه، وعياله، وأولاده، وأمواله في سبيل حفظ شرفه وعلو حسبه ومقامه، وفاز في قبال ذلك بحسن الذكر والصيت في الدنيا، والشفاعة يوم القيامة، والقرب من اللّه، وأعداؤه قد خسروا الدنيا والآخرة... .

فرأيت بعد ذلك وعلمت أنّهم في الحقيقة يدرس بعضهم بعضاً علناً بأنّكم إن كنتم شيعة الحسين، وأصحاب شرف، إنْ كنتم تطلبون السيادة والفخر، فلا تدخلوا في طاعة أمثال يزيد، ولا تتحملوا الذل، بل اختاروا الموت بعزة على الحياة بذلة حتى تفوزوا بحسن الذكر في الدنيا والآخرة، وتحظوا بالفلاح.

من المعلوم حال الأمة التي تلقى عليها أمثال هذه التعاليم من المهد إلى اللّحد، في أي درجة تكون في الملكات العظيمة، والسجايا العالية، نعم هكذا أمة تحوي كلّ نوع من أنواع السعادة والشرف، ويكون جميع أفرادها جنداً مدافعين عن عزّهم وشرفهم، هذا هو التمدن الحقيقي اليوم، هذا هو طريق تعليم الحقوق، هذا هو معنى تدريس أصول السياسة. (المؤلف).

قالباً لجميع بني آدم، من أعلام الرسالة، وآيات الإسلام، وأدلة الدين، وحجج المسلمين، والسيرة النبوية، والخصائص العلوية، ومصائب أهل البيت في سبيل اللّٰه، وصبرهم على الأذى في إعلاء كلمة اللّٰه.

فأولوا النظر والتحقيق، يعلمون أنّ خطباء هذه المآتم كلّهم دعاة إلى الدين من حيثُ لم يقصدوا ذلك، بل لا مبشّر بالإسلام على التحقيق سواهم. وأنت تعلم: أنّ الموظفين لهذا العمل الشريف لا يقصرون في أنحاء البسيطة عن الألوف المؤلّفة، فلو بذلَ المسلمون شطر أموالهم ليوظّفوا دعاةً إلى دينهم بعدد أولئك الخطباء، ما تيسر ذلك لهم، ولو تيسّر فلا يتيسر مَن يستمع الدعوة على ممر الدهور استماع الناس لما يتلى في هذه المآتم بكلّ رغبة وإقبال.

ومنها: ما قد أثبته العيان وشهد به الحس والوجدان، من بث روح المعارف بسبب هذه المآتم، ونشر أطراف من العلوم ببركتها، إذ هي

ـ بشرط كونها على أصولها ـ أرقى مدرسة للعوام، يستضيئون فيها بأنوار الحكم من جوامع الكلم، ويلتقطون منها درر السير، ويقفون بها على أنواع العبر، ويتلقّون فيها من الحديث والتفسير والفقه ما يلزمهم حمله ولا يسعهم جهله، بل هي المدرسة الوحيدة للعوام في جميع بلاد الإسلام.

وقد تفنن خطباؤها في ما يصدعون به أولا على أعوادها، ثم يتخلصون منه إلى ذكر المصيبة وتلاوة الفاجعة.

فمنهم: مَن يشنف المسامع، ويشرّف الجوامع بالحكم النبوية، والمواعظ العلوية، أو يتلوا أوّلا من كلام أئمة أهل البيت ما يقرّب المستمعين إلى اللّٰه ويأخذ بأعناقهم إلى تقواه.

ومنهم: مَن يتلو أوّلا من سيرة النبي صلّى اللّٰه عليه وآله وتاريخ أوصيائه عليهم السلام ما يبعث المستمعين على مودّتهم ويضطرهم إلى بذل الجهد في طاعتهم.

ومنهم: مَن ينبّه الأفكار أوّلا إلى فضل رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله ومقام أوصيائه عليهم السلام بما يسرده من الأحاديث الصحيحة والآيات المحكمة الصريحة.

ومنهم: مَن يتلو أوّلا من الأحكام الشرعية والعقائد الدينية ما تعم به البلوى للمكلّفين ولا مندوحة عن معرفته لأحد من العالمين.

هذه سيرتهم المستمرة أيّام حياتهم، فهل ترى ـ بجدك ـ للعوام مدرسة تقوم مقامها في جسيم فوائدها وعظيم قاصدها؟؟ لا وسرّ الحكماء الذين بعثوا شيعتهم عليها، وحكمة الأوصياء الذين أرشدوا أوليائهم إليها.

ومنها: الارتقاء في الخطابة، والعروج إلى منتهى البراعة، كما يشهد به الوجدان، ولا نحتاج فيه إلى برهان.

ومنها: العزاء عن كلِّ مصيبة، والسلوة لكلّ فادحة، إذ تهون الفجائع بذكر فجائعهم، وتنسى القوارع بتلاوة قوارعهم، كما قيل في رثائهم (عليهم السلام):

أنستْ رزيّتكم رزايانا التي *** سلفت وهوّنت الرزايا الآتية

ومنها: إنعاش أهل الفاقة، وإثلاج أكباد حرّا من أهل المسكنة على الدوام، بما ينفق في هذه المآتم من الأموال في سبيل اللّٰه عزّوجلّ، وما يُبذل فيها لأهل المسغبة وغيرهم، وأنت تعلم أنّه لا وسيلة لقرّاء تلك المآتم في التعيش غالباً إلاّ

هذه الوظيفة، وهم من الرجال والنساء ـ بقطع النظر عمّن يقومون بنفقته ـ ألوف مؤلّفة يعيشون ببركة أهل البيت ويتنعمون بيمن مآتمهم (عليهم السلام).

ومنها: إنّ المصلحة التي استشهد الحسين ـ بأبي وأمّي ـ في سبيلها وسُفك دمه الزكي تلقاءها، تستوجب استمرار هذه المآتم، وتقتضي

دوامها إلى يوم القيامة.

وبيان ذلك: إن المنافقين حيث دفعوا أهل البيت عن مقامهم، وأزالوهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها، ظهروا للناس بمظاهر النيابة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأظهروا التأييد لدينه، والخدمة لشريعته، فوقع الالتباس، واغترَّ بهم أكثر الناس، ولما ملكوا من الأمة أزمّتها، واستسلمت لهم برمّتها، حرّموا ـ والناس في سِنة عن سوء مقاصدهم ـ من حلال الله ماشاؤا، وحلّلوا من حرامه ما أرادوا، وعاثوا في الدين وحكموا فيه القاسطين، فسملوا أعين أولياء الله، وقطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف، وصلبوهم على جذوع النخل، ونفوهم عن عقر ديارهم، حتى تفرّقوا أيدي سبا، ولعنوا أميرالمؤمنين عليه السّلام وكنوا به عن أخيه الصادق الأمين (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

فلو دامت تلك الأحوال ـ وهم أولياء السلطة المطلقة والرئاسة الروحانية ـ لما أبقوا للإسلام عيناً ولا أثراً، لكن ثار الحسين عليه السّلام فادياً دين الله عزّوجلّ بنفسه وأحبائه، حتى وردوا حياض المنايا ولسان حاله يقول:

إنْ كان دين محمّد لم يستقم *** إلاّ بقتلي يا سيوف خذيني

فاستنقذ الدين من أيدي الظالمين، وانكشف الغطاء بوقوع تلك الرزايا عن نفاق القوم، حتى تجلّت عداوتهم لله عزّوجلّ وظهر انتقامهم

من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، إذ لم يكتفوا بقتل الرجال من بنيه عطاشاً والماء تعبث فيه خنازير البرّ وكلابه، ولم يقنعوا بذبح الأطفال من أشباله أحياء، وقد غارت أعينهم من شدة العطش، ولا اكتفوا باستئصال العترة الطاهرة ونجوم الأرض من شيبة الحمد، حتى وطأواجثثهم بسنابك الخيل، وحملوا رؤسهم على أطراف الأسنّة، وتركوا أشلائهم الموزعة عارية بالعراء مباحة لوحوش الأرض وطير السماء، ثم أبرزوا ودائع الرسالة وحرائر الوحي مسلّبات وطافوا البلاد بهن سبايا كأنهن من كوافر البربر، حتى أدخلوهن تارة على ابن مرجانة، وأخرى على ابن آكلة الأكباد، أوقفوهنّ على درج الجامع في دمشق حيث تباع جواري السبي، فلم تبقَ بعدها وقفة في عداوتهم لله، ولا ريبة بنفاقهم في دين الإسلام.

وعلم حينئذ أهل البحث والتنقيب من أُولي الألباب: أن هذه أمور دُبّرِتْ بليل، وأنّها عن عهد السلف بها إلى خلفه، وما كانت ارتجالا من يزيد.

«وما المسبب لو لم ينجح السبب».

ثم لم تزل أنوار هذه الحقيقة تتجلّى لكل مَن نظر نظراً فلسفياً في فجائع الطف، وخطوب أهل البيت، أو بحث بحث مدقق عن أساس تلك الضوارع وأسباب هاتيك الفظائع.

وقد علم أهل التدقيق من أُولي البصائر: أنّه ما كان لهذا الفاجر أنْ يرتكب من أهل البيت ما ارتكب، لولا ما مهّده سلفه من هدم سورهم، وإطفاء نورهم، وحمله الناس على رقابهم، وفعله الشنيع يوم بابهم.

وتاللّه، لولا مابذله الحسين عليه السّلام في سبيل إحياء الدين من نفسه الزكية، ونفوس أحبائه بتلك الكيفية، لأمسى الإسلام خبراً من الأخبار السالفة[١٣٧]، وأضحى المسلمون أمة من الأمم التالفة، إذلو بقي

---

(١٣٧) كما شهد به العظماء من فلاسفة الغرب، وإليك ما ذكره (المسيو ماريين) في كتابه (السياسة الإسلامية) بعين لفظ المعرب قال من جملة كلام طويل: لا يشكُّ صاحب الوجدان إذا دقق النظر في أوضاع ذلك العصر وكيفية نجاح بني أميّة في مقاصدهم واستيلائهم على جميع طبقات الناس وتزلزل المسلمين، أنّ الحسين قد أحيا بقتله دين جدّه وقوانين الإسلام، وإن لم تقع تلك الواقعة ولم تظهر تلك الحسيات الصادقة بين المسلمين; لأجل قتل الحسين، لم يكن الإسلام على ما هو عليه الآن قطعاً، بل كان من الممكن ضياع رسومه وقوانينه حيث كان يومئذ حديث العهد، عزم الحسين إنجاح هذا المقصود، وإعلان الثورة ضد بني أمية من يوم توفي والده، فلما قام يزيد مقام معاوية خرج الحسين من المدينة وكان يظهر مقصده العالي، ويبث روح الثورة في المراكز المهمة الإسلامية كمكة والعراق وأينما حلَّ، فازداد نفرة قلوب المسلمين التي هي مقدمة الثورة من بني أمية، ولم يكن يجهل يزيد مقاصد الحسين، وكان يعلم أنّ الثورة إذا أُعلنت في جهة والحسين قائدها مع تنفر المسلمين عموماً من حكومة بني أميّة، وميل القلوب وتوجه الأنظار إلى الحسين عمت جميع البلاد وفي ذلك زوال ملكهم وسلطانهم، فعزم يزيد قبل كلّ شيء من يوم بويع على قتل الحسين، ولقد كان هذا العزم أعظم خطأ سياسي صدر من بني امية الذي جعلهم نسياً منسيّاً ولم يبقَ منهم أثر ولا خبر.

وأعظم الأدلّة على أنّ الحسين أقدم على قتل نفسه، ولم تكن في نظره سلطنة ولا رئاسة هو: إنّه مضافاً إلى ما كان عليه من العلم والسياسة والتجربة التي وقف عليها زمن أبيه وأخيه في قتال بني أميّة، كان يعلم أنّه مع عدم تهيئة الأسباب له واقتدار يزيد، لا يمكنه المقاومة والغلبة وكان يقول من يوم توفي والده إنّه يقتل، وأعلن يوم خروجه من المدينة أنّه يمضي إلى القتل، وأظهر ذلك لأصحابه والذين اتبعوه من باب إتمام الحجة حتى يتفرق الذين التفوا حوله طمعاً بالدنيا، وطالما كان يقول: (خيّر لي مصرع أنا ملاقيه). ولو لم يكن قصده ذلك ولم يكن عالماً عامداً لجمع الجنود ولسعى في تكثير أصحابه وزيادة استعداده، لا أن يفرق الذين كانوا معه، ولكن لما لم يكن له قصد إلاّ القتل مقدمة لذلك المقصد العالي، وإعلان الثورة المقدسة ضد يزيد، رأى أنّ خير الوسائل إلى ذلك الوحدة والمظلومية، فإن أثر هكذا مصائب أشد وأكثر في القلوب.

من الظاهر أنّ الحسين مع ما كانت له من المحبوبية في قلوب المسلمين في ذلك الزمان لو كان يطلب قوةً واستعداداً لأمكنه أن يخرج إلى حرب يزيد جيشاً جراراً، ولكنه لو صنع ذلك لكان قتله في سبيل طلب السلطنة والإمارة، ولم يفز بالمظلومية التي انتجت تلك الثورة العظيمة، هذا هو الذي سبب أن لا يبقى معه أحداً إلاّ الذين لايمكن انفكاكهم عنه، كأولاده، وإخوانه، وبني إخوته، وبني أعمامه وجماعة من خواص أصحابه، حتى أنّه أمر هؤلاء أيضاً بمفارقته، ولكنهم أبوا عليه ذلك، وهؤلاء أيضاً كانوا من المعروفين بين المسلمين بجلالة القدر وعظم المنزلة وقتلهم معه، مما يزيد في عظم المصيبة وأثر الوقعة، نعم! إنّ الحسين بمبلغ علمه وحسن سياسته بذل كمال جهده في إفشاء ظلم بني أمية وإظهار عداوتهم لبني هاشم وسلك في ذلك كلّ طريق، لما كان يعلم عداوة بني أمية له ولبني هاشم، ويعرف أنّهم بعد قتله يأسرون عياله وأطفاله، وذلك يؤيد مقصده ويكون له أثر عظيم في قلوب المسلمين، سيما العرب كما وقع ذلك، حملهم معه وجاء بهم من المدينة.

نعم، إنّ ظلم بني أمية وقساوة قلوبهم في معاملاتهم مع حرم محمّد وسباياه، أثّر في قلوب المسلمين تأثيراً عظيماً لا ينقص عن أثر قتله وأصحابه، ولقد أظهر في فعله هذا عقيدة بني أمية في الإسلام وسلوكهم مع المسلمين سيما

ذراري نبيّهم، لهذا كان الحسين يقول في جواب أصحابه والذين كانوا يمنعونه عن هذا السفر: إني أمضي إلى القتل. ولما كانت أفكار المانعين محدودة وأنظارهم قاصرة لا يدركون مقاصد الحسين العالية، لم يألوا جهدهم في منعه، وآخر ما أجابهم به أنْ قال لهم: (شاء اللّه ذلك، وجدي أمرني به)، فقالوا: إنْ كنت تمضي إلى القتل فما وجه حملك النسوة والأطفال فقال: (إن اللّه شاء أن يراهن سبايا) ولما كان بينهم رئيساً روحانياً لم يكن لهم بدٌّ عن السكوت.

ومما يدلّ على أنّه لم يكن له غرض إلاّ ذلك المقصد العالي الذي كان في نفسه ولم يتحمل تلك المصائب لسلطنة وإمارة، ولم يقدم على هذا الخطر من غير علم ودراية كما تصوره بعض المؤرخين منا، أنّه قال لبعض ذوي النباهة قبل الواقعة بأعوام كثيرة على سبيل التسلية: إنّ بعد قتلي وظهور تلك المصائب المحزنة، يبعث اللّه رجالا يعرفون الحق من الباطل، يزورون قبورنا، ويبكون على مصابنا، ويأخذون بثارنا من أعدائنا، أولئك جماعة ينشرون دين اللّه وشريعة جدّي وأنا وجدي نحبّهم وهم يحشرون معنا يوم القيامة.

ولو تأمل المتأمل في كلام الحسين وحركاته، يرى أنّه لم يترك طريقاً من السياسة إلاّ سلكه في إظهار شنائع بني أمية وعداوتهم القلبية لبني هاشم ومظلومية نفسه، وهذا مما يدلّ على حسن سياسته وقوة قلبه وتضحية نفسه في طريق الوصول إلى المقصد الذي كان في نظره، حتى أنّه في آخر ساعات حياته عمل عملا حيّر عقول الفلاسفة ولم يصرف نظره عن ذلك المقصد العالي مع تلك المصائب المحزنة والهموم المتراكمة، وكثرة العطش والجراحات، وهو قصة الرضيع، لما كان يعلم أنّ بني أمية لا يرحمون له صغيراً رفع طفله الصغير تعظيماً للمصيبة على يده أمام القوم وطلب منهم أنْ يأتوه شربةً من الماء فلم يجيبوه إلاّ بالسهم، ويغلب على الظن أنّ غرض الحسين من هذا العمل تفهيم العالم بشدة عداوة بني أمية لبني هاشم، وأنّها إلى أي درجة بلغت، ولا يظن أحد أنّ يزيد كان مجبوراً على تلك الإقدامات الفجيعة لأجل الدفاع عن نفسه; لأنّ قتل الطفل الرضيع في ذلك الحال بتلك الكيفية ليس هو إلاّ توحش وعداوة سبعية منافية لقواعد كلّ دين وشريعة. ويمكن أنْ تكون هذه الفاجعة كافية في افتضاح بني أمية، ورفع الستار عن قبائح أعمالهم ونياتهم الفاسدة بين العالم سيما المسلمين، وأنّهم يخالفون الإسلام في حركاتهم بل يسعون بعصبية جاهلية إلى اضمحلال آل محمّد وجعلهم بالأيدي سبايا.

ونظراً لتلك المقاصد العالية التي كانت في نظر الحسين، مضافاً إلى وفور علمه وسياسته التي كان لا يشك فيها إثنان لم يرتكب امراً يوجب مجبورية بني أمية للدفاع حتى مع ذلك النفوذ والإقتدار الذي كان له في ذلك العصر، لم يسعَ في تسخير البلاد الإسلامية وضمّها إليه، ولا هاجم ولاية من ولايات يزيد، إلى أنْ حاصروه في واد غير ذي زرع، قبل أن تبدو منه أقل حركة عدائية، أو تظهر منه ثورة ضد بني أمية.

لم يقل الحسين يوماً: سأكون ملكاً أو سلطاناً، وأصبح صاحب سلطة، نعم كان يبث روح الثورة في المسلمين بنشره شنائع بني أمية واضمحلال الدين إنْ دام ذلك الحال، وكان يخبر بقتله ومظلوميته وهو مسرور، ولما حوصر في تلك الأرض القفراء أظهر لهم من باب إتمام الحجة بأنّهم لو تركوه لرحل بعياله وأطفاله، وخرج من سلطة يزيد، ولقد كان لهذا الإظهار الدالّ على سلامة نفس الحسين في قلوب المسلمين غاية التأثير.

قُتل قبل الحسين ظلماً وعدواناً كثير من الرؤساء الروحانيين، وأرباب الديانات وقامت الثورة بعد قتلهم بين تابعيهم ضد الأعداء، كما وقع مكرراً في بني إسرائيل وقصة يحيى من أعظم الحوادث التأريخية، ومعاملة اليهود مع المسيح لم ير نظيرها إلى ذلك العهد، ولكن واقعة الحسين فاقت الجميع.

لم يرشدنا التاريخ إلى أحد من الروحانيين وأرباب الديانات أنّه أقدم على قتل نفسه عالماً عامداً لمقاصد عالية لا تنجح إلاّ بقتله، فإنّ كلّ واحد من أرباب الديانات الذين قتلوا، ثار عليهم أعداؤهم وقتلوهم ظلماً، وبمقدار مظلوميتهم قامت الثورة بعدهم ومقاصد الحسين كانت على علم وحكمة وسياسة، وليس لها نظير في التاريخ، فإنّه لم يزل يوالي

السعي في تهيئة أسباب قتله نظراً لذلك المقصد العالي، ولم نجد في التاريخ رجلا ضحّى حياته عالماً عامداً لترويج ديانته من بعده إلاّ الحسين.

المصائب التي تحمّلها الحسين في طريق إحياء دين جدّه تفوق على مصائب أرباب الديانات السابقين، ولم ترد على أحد منهم، نعم: إنّ هناك رجالا قتلوا في طريق إحياء الدين، ولكنهم لم يكونوا كالحسين، فإنه ضحّى نفسه العزيزة في طريق إحياء دين جدّه، وفداه بأولاده، وإخوانه، وأقربائه، وأحبابه، وأمواله، وعياله، ولم تقع هذه المصائب دفعة واحدة حتى تكون في حكم مصيبة واحدة، بل وقعت متتالية واحدة بعد أخرى، ويختص الحسين دون غيره بتواتر أمثال هذه المصائب، كما يشهد له التاريخ.

لم تنته المصائب التي وردت على الحسين من قتله وقتل أصحابه، وتسيير نسائه وبناته إلاّ وانكشف الغطاء عن سرائر بني أمية، وقبائح أعمالهم، وظهرت بين المسلمين الحسيات السياسية، وتوطدت أسباب الثورة ضد سلطنة يزيد وبني امية وعلم الجميع أنّ بني أمية مخربوا الإسلام، وصار الجميع يرفض بدعهم وتقولاتهم وعرفوا بالظلم والغصب بالعكس من بني هاشم، فإنهم عرّفوا بالمظلومية، وأنّ لهم الرئاسة الروحانية بالإستحقاق، وإليهم تنتمي الحقيقة الروحانية.

كأنّ المسلمين ــ بعد قتل الحسين ــ قد دخلوا في دور جديد، وظهرت الروحانية الإسلامية بأجلى مظاهرها، وتجددت بعد أنْ كانت مندرسةً غائبة عن أذهان المسلمين، وكما لا يشك إثنان في تفوّق مصائب الحسين على جميع مصائب روحاني السلف، فكذلك لا يشك في الثورة التي حدثت بعده، بأنّها فاقت سائر الثورات السالفة، وإنّ امتدادها وأثرها أكثر، وإنْ بها ظهرت للعالم مظلومية آل محمّد.

فكانت أوّل نتيجة هذه الثورة اختصاص الرئاسة الروحانية التي لها أهمية عظمى في عالم السياسة ببني هاشم وخصوصاً في أولاد الحسين، فكان منهم أئمة الشيعة. وإلى حال التاريخ ينظر عموم المسلمين إلى بني هاشم سيما أولاد الحسين نظرهم إلى الروحانيين، ولم يطل العهد حتى نزعت تلك السلطنة من بني أمية وزالت السلطة والقدرة من آل يزيد في أقل من قرن، واندرست آثارهم على وجه لم يبق منهم عين ولا أثر، وأينما ذكرت أسماؤهم في متون الكتب قرنها المسلمون بكلمة الشماتة، وكلّ ذلك نتيجة سياسة الحسين الذي يمكن أن يقال: إنّه لم يأت في أرباب الديانات والروحانيين رجل عرف عواقب الأمور مع بعد نظر وحسن سياسة كالحسين، والتاريخ لم يرشدنا.

قبل أن تصل سبايا الحسين إلى الشام قامت الثورة ضد يزيد، وظهرت بمظلومية الحسين سرائر بني أمية، وكشفت الغطاء عن نياتهم، وتوجه اللوم على يزيد حتى من أهل داره وحرمه، وصار يزيد يسمع تقديس الحسين وأولاد علي وعظمتهم ومظلوميتهم، بعد أن لم يكن يمكن ذكرهم عنده بخير، وكان يصعب عليه ذلك إلاّ أنّه لم يكن له بدّ غير السكوت، ولما أراد تبرأة نفسه من تلك الأعمال، ألقى المسؤولية على عمّاله، ولم يزل يسمع محامد الحسين، قال ذات يوم: إنّ سلطنة الحسين كانت أهون عليَّ من هذا المقام العالي الذي فاز به آل علي (عليه السّلام) وبنو هاشم... .

وبالأخير، فشيعة الحسين لم يزالوا يستفيدون من هذه الثورات، وتزيد قوة بني هاشم وعظمتهم حتى لم يمض أقل من قرن إلاّ وصارت السلطنة الإسلامية الوسيعة في بني هاشم من دون مزاحم، وأبادوا بني أمية على وجه لم يبق منهم اسم ولا رسم، غير أفراد تسلّموا زمام السلطنة في الأندلس إلى كم قرن، ولم يبق فعلا من تلك العظمة التي سيطرت على المسلمين قروناً عديدة أثر ولم يوجد من أولئك شخص، ولو تحت ستر الخفاء، ولو وجد فلا يمكنه إظهار نسبه نظراً لشناعة ذلك، ولما انتهت السلطنة بعد قرن إلى بني هاشم كانت في أولاد عم الحسين دون أولاده، لأنّهم اعتزلوا الناس وأذعن الجميع لهم بالرئاسة الروحانية، نعم: نال أولاد عم الحسين هذه السلطة، وتوفقوا بسبب ثورات شيعة الحسين للقبض على زمامها، ولكنهم بعد أن استلموا زمام الأمور وانقاد لهم الجمهور، صاروا في صدد منع تلك الثورات التي نالوا السلطة ببركتها خوفاً من رجوع السلطنة الإسلامية إلى أولاد الحسين وانتزاعها من أيديهم

المنافقون على ما كانوا عليه من الظهور للعامة بالنيابة عن رسول اللّٰه والنصح لدينه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم، وهم أولياء السلطة المطلقة والإرادة المقدسة، لغرسوا من شجرة النفاق ما أرادوا، وبثوا من روح الزندقة ما شائوا، وفعلوا بالدين ما توجبه عداوتهم له، وارتكبوا من الشريعة كلّ أمر يقتضيه نفاقهم.

وأمّا شيبة الحسين المخضوبة بدمه الطاهر، لولا ما تحمّله سلام اللّٰه عليه في سبيل اللّٰه ما قامت لأهل البيت عليهم السلام ـ وهم حجج اللّٰه ـ قائمة، ولا عرفهم ـ وهم أولوا الأمر ـ ممّن تأخر عنهم أحد، لكنه ـ بأبي وأمي ـ فضح المنافقين، وأسقطهم من أنظار العالمين، واستلفت الأبصار بمصيبته إلى سائر مصائب أهل البيت، واضطر الناس بحلول هذه القارعة إلى البحث عن أساسها، وحملهم على التنقيب عن أسبابها،

والفحص عن جذرها وبذرها، واستنهض الهمم إلى حفظ مقام أهل البيت عليهم السلام، وحرّك الحميّة على الإنتصار لهم; لأنّ الطبيعة البشرية والجبلّة الإنسانية، تنتصر للمظلومين وتنتقم بجهدها من الظالمين، فاندفع المسلمون إلى موالات أهل البيت حتى كأنّهم قد دخلوا ـ بعد فاجعة الطف ـ في دور جديد، وظهرت الروحانيّة الإسلاميّة بأجلى مظاهرها، وسطع نور أهل البيت بعد أن كان محجوباً بسحائب ظلم الظالمين، وانتبه الناس إلى نصوص الكتاب والسنّة فيهم عليهم السلام، فهدى اللّٰه بها مَن هدى لدينه، وضلَّ عنها مَن عمى عن سبيله.

وكان الحسين ـ بأبي وأمي ـ على يقين من ترتب هذه الآثار الشريفة على قتله، وانتهاب رحله، وذبح أطفاله، وسبي عياله، بل لم يجد طريقاً لإرشاد الخلق إلى الأئمة بالحق، واستنقاذ الدّين من أئمة المنافقين ـ الذين خفي مكرهم، وعلا في نفوس العامة أمرهم ـ إلاّ الاستسلام لتلك الرزايا والصبر على هاتيك البلايا، وما قصد كربلاء إلاّ لتحمل ذلك البلاء، عهد معهود عن أخيه عن أبيه عن جدّه عن اللّٰه عزّوجلّ.

ويرشدك إلى ذلك ـ مضافاً إلى أخبارنا المتواترة من طريق العترة الطاهرة ـ دلائل أقواله وقرائن أفعاله، فإنّها نص فيما قلناه، وحسبك منها

جوابه لأمّ سلمة إذ قالت له ـ كما في البحار وجلاء العيون وغيرهما ـ: «يا بنيّ لا تحزن بخروجك إلى العراق، فإني سمعتُ جدّك صلّى اللّٰه عليه وآله يقول: «يُقتل ولدي الحسين بأرض يقال لها كربلاء» فقال لها:

«يا أُمّاه، وأنا واللّٰه أعلم ذلك وأنّي مقتول لا محالة وليس لي منه بدّ، وقد شاء اللّٰه أن يراني مقتولاً ويرى حرمي مشردين وأطفالي مذبوحين»[١٣٨].

كما انتزعت من بني أمية، فقلّت تلك الثورات يوماً فيوماً لمنع هؤلاء أوّلا، ولإضمحلال بني أمية ثانياً، فلما رأى عقلاء شيعة علي ذلك عرفوا أنّ تلك الثورات لا تقاوم سلطنة أولاد عمهم لزيادة اقتدارهم وتفرّق الآراء والأهواء العمومية، تركوها بحسب الظاهر ولكنهم في الحقيقة غيّروا شكلها، وأظهروها بصورة اخرى أعني بالأجتماع وعقد الاجتماعات وذكر الوقائع المحزنة والمصائب المؤلمة التي وردت على الحسين حفظاً لروح الثورة، وتمهيداً لأسباب النهضة، وصوناً لها عن الإضمحلال والإندراس. (المؤلف).

(١٣٨) بحار الأنوار ٤٤ / ٣٣١، والعوالم: ١٧، وينابيع المودّة للقندوزي: ٤٠٥.

وجوابه لأخيه عمر، إذ قال له حين امتنع من البيعة ليزيد: «حدّثني أخوك أبو محمّد عن أبيه» ثم بكى حتى علا شهيقه فضمّه الحسين إليه وقال ـ كما في الملهوف وغيره ـ : «حدّثك أنّي مقتول» قال: «حوشيت يا ابن رسول اللّه»، فقال: «بحق أبيك بقتلي خبّرك؟» قال: «نعم، فلو بايعت» فقال عليه السّلام:

«حدثني أبي أنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أخبره بقتله وقتلي وأنّ تربتي تكون بقرب تربته، أتظن أنّك علمت ما لم أعلم؟»[١٣٩].

والرؤيا التي رآها في مسجد جدّه صلّى اللّه عليه وآله حين ذهب ليودّعه، وقول النبي له فيها كما في أمالي الصدوق وغيره:

«بأبي أنت، كأني أراك مرمّلا بدمك بين عصابة من هذه الأمة ما لهم عنداللّه من خلاق»[١٤٠].

وكتابه إلى بني هاشم لمّا فصل من المدينة، وقوله فيه ـ كما في الملهوف نقلا عن رسائل ثقة الإسلام ـ :

«أمّا بعد، فإنّ من لحق بي منكم استشهد ومَن تخلّف لم يبلغ الفتح»[١٤١].

وخطبته ليلة خروجه من مكة، وقوله فيها ـ كما في الملهوف وغيره ـ :

«كأنّي بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء».

إلى أن قال:

«ومَن كان باذلا فينا مهجته موطّناً على لقاء اللّه نفسه، فليرحل معنا فإنّي راحل مصبحاً إن شاء اللّه تعالى»[١٤٢].

وقوله ـ كما في الملهوف وغيره ـ :

«لولا تقارب الأشياء وهبوط الأجل، لقاتلتهم بهؤلاء، ولكني أعلم يقيناً أن هناك مصرعي ومصرع أصحابي، لا ينجو منهم إلاّ

ولدي علي»[١٤٣].

وجوابه لأخيه محمّد بن الحنفية، إذ قال له ـ كما في الملهوف وغيره ـ : «يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟» قال:

«بلى، ولكن أتاني رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) بعد ما فارقتك فقال: يا حسين أُخرج، فإن اللّه قد شاء أن يراك قتيلا».

فقال ابن الحنفية: «إنّا للّه وانا إليه راجعون، فما معنى حملك هذه النسوة وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟» فقال له:

---

(١٣٩) اللهوف: ٢٠، ط قم.

(١٤٠) الأمالي للصدوق: ٢١٧، المجلس الثلاثون ح ١.

(١٤١) اللهوف: ٤١.

(١٤٢) المصدر: ١٢٦.

(١٤٣) اللهوف: ١٢٦.

«قال لي: إنّ اللّه شاء أن يراهن سبايا»[١٤٤].

وجوابه لابن عباس وابن الزبير إذ أشارا عليه بالإمساك. فقال لهما: ـ كما في الملهوف وغيره ـ :

«إنّ رسول اللّه أمرني بأمر وأنا ماض فيه».

«فخرج ابن عباس وهو يقول: «واحسيناه»[١٤٥].

وجوابه لعبداللّه بن جعفر ويحيى بن سعيد إذ حاولا منه الرجوع فأبى وقال لهما ـ كما في تاريخي ابن جرير وابن الأثير وغيرهما ـ :

«رأيت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) في المنام وأمرني بما أنا ماض له»[١٤٦].

وقوله ـ في كلام له مع ابن الزبير، كما في تاريخي ابن جرير وابن الأثير وغيرهما ـ :

«وأيم اللّه لو كنتُ في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيَّ حاجتهم، واللّه ليعتدن كما اعتدت اليهود في السبت»[١٤٧].

وقوله في مقام آخر ـ كما في كامل ابن الأثير وغيره ـ :

«واللّه لا يدعونني حتى يستخرجوا هذه العَلَقة من جوفي، فإذا فعلوا ذلك سلّط اللّه عليهم مَن يذلّهم حتى يكونوا أذل من فرام المرأة (يعني من خرقة الحيض)[١٤٨].

وقوله لأبي هرة ـ كما في تاريخ ابن جرير وغيره ـ :

«وأيم اللّه لتقتلني الفئةُ الباغية»[١٤٩].

ورؤياه التي رآها لما ارتحل من قصر بني مقاتل ـ كما في تاريخ الطبري وغيره ـ فقال حين انتبه: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون الحمد للّه ربّ العالمين ـ مرّتين أو ثلاثاً ـ قال: فأقبل عليه[١٥٠] ابنه علي فقال: «يا أبتاه جُعلت فداك مما حمدتَ اللّه واسترجعت»؟ فقال: **«يا بني، خفقت برأسي فعنَّ لي فارس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم، فعلمت أنّها أنفسنا نعيت إلينا»** فقال: «يا أبت لا أراك اللّه سوءاً، ألسنا على الحق؟» قال: «بلى والذي إليه مرجع العباد» قال: «إذاً لا نبالي، نموت محقّين».

فقال له: «جزاك اللّه من ولد خير ما جزى ولداً عن والده»[١٥١].

---

(١٤٤) المصدر: ١٢٨.

(١٤٥) المصدر: ٢٢.

(١٤٦) الكامل في التاريخ ٣ / ٤٠٢، حوادث سنة ٦٠.

(١٤٧) تاريخ الطبري ٤ / ٢٨٩، حواث سنة ٦٠، والطبراني في معجمه الكبير ٣ / ٩٨، ح ٢٧٨٣.

(١٤٨) الكامل في التاريخ ٣ / ٤٠١، حوادث سنة ٦٠.

(١٤٩) مثير الأحزان لابن نما الحلي: ٣٣، والبحار ٤٤ / ٣٦٨، اللهوف: ٤٣.

(١٥٠) في المصدر: (إليه).

(١٥١) تاريخ الطبري ٤ / ٣٠٨، حوادث سنة ٦١ ومقتل أبي مخنف: ٩٢، ط قم.

وقوله لما أُخبر بقتل قيس بن مسهر الصيداوي ـ كما في تاريخ الطبري وغيره ـ :

«فمنهم من قضى نحبه ومنهم مَن ينتظر وما بدّلوا تبديلا»[١٥٢].

إلى غير ذلك من أقواله الصريحة بأنه كان على يقين مما انتهت إليه حاله، وأنّه ما خرج إلاّ ليبذل في سبيل اللّٰه نفسه وجميع ما ملكته يده، ويضحي في إحياء دين اللّٰه أولاده وإخوته، وأبناء أخيه، وبني عمومته وخاصة أوليائه، والعقائل الطاهرات من نسائه.

إذ لم يرالسبط للدين الحنيف شفاً *** إلاّ إذا دمه في نصره سفكا

وما سمعنا عليلا لا علاج له *** إلاّ بنفس مداويه إذا هلكا

بقتله فاح للإسلام طيب هدىً *** فكلّما ذكرته المسلمون ذكا

وصانَ ستر الهدى عن كلِّ خائنة *** ستر الفواطم يوم الطف إذ هُتِكا

نفسي الفداء لفاد شرع والده *** بنفسه وبأهليه وما ملكا

قد آثر الدين أنْ يحيى فقحمها *** حيث استقام القنا الخطبي واشتبكا[١٥٣]

على أن الأمر الذي انتهت إليه حاله كان من الوضوح بمثابة لم تخف على أحد، وقد نهاه عن ذلك الوجه ـ جهلا بمقاصده السامية ـ كثير من الناس وأشفقوا عليه وأنذروه بلؤم بني أمية وغدر أهل العراق:

فقال له أخوه محمّد بن الحنفية ـ كما في الملهوف وغيره ـ : «يا أخي، إنّ أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفتُ أن يكون حالك كحال مَن مضى، فإنْ رأيت أنْ تقيم فإنّك أعزّ مَن في الحرم وأمنعه، فإنْ خفت فسر[١٥٤] إلى اليمن أو بعض نواحي البرّ، فإنّك أمنع الناس به ولا يقدر عليك».

فردّه الحسين ـ عليه السّلام ـ برأفة ورفق، وقال: «انظر فيما قلت»[١٥٥].

وأتاه ابن عباس فقال: «يا ابن عم، قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق، فبيّن لي ما أنت صانع؟» قال: «إني قد أجمعت السير في أحد يوميَّ هذين إنْ شاء اللّٰه تعالى»، فقال له ابن عباس ـ كما في تاريخي الطبري وابن الأثير وغيرها ـ : «أعيذك باللّٰه من ذلك، أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوّهم؟ فإنْ كانوا فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن كانوا إنّما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعماله تجبي بلادهم، فإنّما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أنْ يغروك، ويكذِّبوك ويخالفوك ويخذلوك، وإن يستنفروا إليك، فيكونوا أشدّ الناس عليك».

فردّه الحسين عليه السّلام ردّ رحمة وحنان فقال له:

«أستخير اللّٰه وأنظر ما يكون»[١٥٦].

---

(١٥٢) المصدر ٤ / ٣٠٦، حوادث سنة ٦١.

(١٥٣) هذه الأبيات من قصيدة للشريف الفاضل السيد جعفر الحلّي يرثي بها جدّه عليه السّلام. (المؤلف).

(١٥٤) في المصدر: (فصر).

(١٥٥) اللهوف: ١٢٨، ط قم.

(١٥٦) مقتل أبي مخنف: ٦٤، الكامل في التاريخ ٣ / ٣٩٩، ذكر مسير الحسين إلى الكوفة.

فخرج ابن عباس.

ثم جاءه مرةً أخرى فقال له ـ كما في تاريخي الطبري وابن الأثير وغيرهما ـ : «يا ابن عم، إنّي أتصبَّر ولا أصبر، إني أتخوّف عليك في هذا الوجه الهلاك والإستئصال، إنّ أهل العراق قوم غدر فلا تقربّنهم، أقم بهذا البلد فإنّك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما

زعموا، فاكتب إليهم فلينفوا (عاملهم)[١٥٧] وعدوّهم ثم اقدم عليهم، فإنْ أبيت إلاّ أن تخرج، فسر إلى اليمن فإنّ بها حصوناً وشعاباً، ولأبيك بها شيعة، فتكتب إلى الناس وتبثّ دعاتك، فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية».

فقال له الحسين عليه السّلام: «**يا ابن عم، إني لأعلم واللّه أنّك ناصح مشفق، ولكن قد أزمعت وأجمعت على المسير**»[١٥٨].

ودخل عليه عمر بن عبدالرحمن المخزومي فقال له ـ كما في تاريخي الطبري وابن الأثير وغيرهما ـ : «إني مشفق عليك، إنك تأتي بلداً فيه عمّاله وأمراؤه، ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيد الدينار والدرهم، فلا آمن عليك أنْ يقاتلك مَن وعدك نصره».

فقال له الحسين عليه السّلام:

«**جزاك اللّه خيراً يا ابن عم، فقد علمتُ أنك مشيتَ بنصح، وتكلّمت بعقل، ومهما يقض من أمر يكن**»[١٥٩].

وكتب إليه عبداللّه بن جعفر بعد خروجه من مكة ـ كما في تاريخي الطبرى وابن الأثير وغيرهما ـ : «أما بعد، فإني أسألك باللّه لما

انصرفت حين تقرأ كتابي هذا، فإنّي مشفق عليكَ من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، وإنْ هلكتَ اليوم طُفِىءَ نور الأرض، فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير فإني في إثر كتابي. والسلام»[١٦٠].

وقام عبداللّه بن جعفر إلى عمرو بن سعيد ـ وهو عامل يزيد يومئذ بمكة ـ فقال له: «اكتب للحسين كتاباً تجعل له الأمان فيه، وتمنّيه فيه البر والصلة واسأله الرجوع». ففعل عمرو ذلك وأرسل الكتاب مع أخيه يحيى بن سعيد وعبداللّه بن جعفر، فلحقاه وقرأ عليه الكتاب، وجهدا أن يرجع، فلم يفعل[١٦١].

وقال له عبداللّه بن مطيع ـ إذ اجتمع به في الطريق على بعض مياه العرب ـ كما في تاريخ الطبري وغيره ـ : ـ أذكرك اللّه يا ابن رسول اللّه وحرمة الإسلام أن تنهتك، أنشدك اللّه في حرمة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله)، أنشدك اللّه في حرمة

---

(١٥٧) بين القوسين من المصدر.

(١٥٨) الكامل في التاريخ ٣ / ٤٠١، حوادث سنة ٦٠.

(١٥٩) المصدر ٣ / ٣٩٩.

(١٦٠) الكامل في التاريخ: ٤٠٢، وتاريخ الطبري ٤ / ٢٩١.

(١٦١) المصدر ٣ / ٤٠٢.

العرب، فوالله لأن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً[١٦٢] والله إنها لحرمة الإسلام تنهتك، وحرمة قريش، وحرمة العرب، فلا تفعل ولا تأت الكوفة ولا تعرض لبني أمية».

قالوا: فأبى إلاّ أن يمضي[١٦٣]. إنجازاً لمقاصده السامية.

ولقيه أحد بني عكرمة ببطن العقبة ـ كما في تاريخ الطبري وغيره ـ فقال له: «أنشدك الله لما انصرفت، فوالله لا تقدم إلاّ على الأسنة وحدّ السيوف، فإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطؤا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً، فأما على هذه الحال فإني لا أرى لك أن تفعل» فقال له:

«يا عبدالله، إنّه ليس يخفى عليّ، الرأي ما رأيت، ولكن الله لا يغلب على أمره»[١٦٤].

ولقيه بعض بني تميم قريباً من القادسية ـ كما في تاريخ الطبري وغيره ـ: فقال له: «إرجع فإني لم أدع لك خيراً أرجوه»[١٦٥].

وكان قد لقيه الفرزدق بن غالب الشاعر في الصّفاح ـ كما في تاريخ

الطبري وغيره ـ فقال له: «قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية»[١٦٦].

وما التقى في الطريق بأحد إلاّ التمسه على الرجوع إشفاقاً عليه من لؤم بني أمية وغدر أهل العراق، وما كان ليخفى عليه ما ظهر لأغلب الناس، لكنه وهؤلاء كما قيل: ـ أنت بواد والعذول بوادي.

ما نزل ـ بأبي وأمي ـ منزلا ولا ارتحل منه ـ كما في الإرشاد وغيره ـ إلاّ ذكر يحيى بن زكريا وقتله.

وقال يوماً:

«من هوان الدنيا على الله إنّ رأس يحيى بن زكريا أُهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل»[١٦٧].

فهل تراه أراد بهذا غير الإشارة إلى أن سبيله في هذا الوجه إنما هو سبيل يحيى عليهما السلام؟

وأخبره الأسديان وهو نازل في الثعلبية ـ كما في تاريخ الطبري[١٦٨] وغيره ـ بقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، وأنهما يجرّان بأرجلهما في الأسواق بلا نكير.

فهل يُمكن بعد هذا أن يبقى له أمل بنصرة أهل الكوفة، أو طمع في

شيء من خيرهم؟؟. والله ما جاءهم إلاّ يائساً منهم عالماً بكلّ ما كان منهم عليه.

---

(١٦٢) وكان كما قال فدونك التراجم والمعاجم واطلب تفصيل ما جرى من الوقائع في أيام يزيد بن معاوية القصيرة، والفضائع التي ارتكبها بعد فاجعة الطف والتي سوّد بها تاريخ المسلمين، بل تاريخ الإنسان العام. (الميلاني).

(١٦٣) تاريخ الطبري ٤ / ٢٩٨.

(١٦٤) تاريخ الطبري ٤ / ٣٠١.

(١٦٥) المصدر ٢ / ٣٠٤.

(١٦٦) تاريخ الطبري ٤ / ٢٩٠.

(١٦٧) مثير الأحزان، لابن نما الحلي: ٢٩، ط الحيدرية النجف ١٩٥٠ م.

(١٦٨) تاريخ الطبري ٤ / ٢٨٥.

وقد كتب وهو نازل بزبالة كتاباً قُرِأ بأمره على الناس وفيه:

«بسم اللّه الرّحمن الرّحيم: أما بعد، فإنه قد أتانا خبر فظيع: قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبداللّه بن يقطر، وقد خذلتنا شيعتنا، فمَن أحبَّ منكم الإنصراف فلينصرف ليس عليه منا ذمام»[١٦٩].

قال محمّد بن جرير الطبري ـ في تاريخ الأمم والملوك ـ : «فتفرق الناس عنه تفرّقاً، فأخذوا يميناً وشمالا حتى بقي في أصحابه الذين جاؤا معه من المدينة» قال: «وإنّما فعل ذلك لأنّه ظنّ إنّما اتبعه الأعراب; لأنهم ظنوا أنّه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلاّ وهم يعلمون على ما يقدمون» قال: «وقد علم أنهم إذا بيّن لهم لم يصحبه إلاّ من يريد مواساته والموت معه»[١٧٠].

وذكر أهل الأخبار: أنّ الطرماح بن عدي لما اجتمع به في عذيب الهجانات دنا منه فقال له ـ كما في تاريخ الطبري وغيره ـ : «واللّه إني لأنظر فما أرى معك أحداً، ولو لم يقاتلك إلاّ هؤلاء الذين أراهم
ملازميك ـ يعني الحر[١٧١] وأصحابه ـ لكان كفى بهم. وقد رأيت قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس ما لم تر عيناي في صعيد واحد جمعاً أكثر منه فسألت عنهم فقيل: اجتمعوا ليعرضوا ثم يسرحوا إلى حرب الحسين، فأنشدك اللّه إنْ قدرت أن لا تقدم عليهم شبراً إلاّ فعلت، فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك اللّه به حتى ترى من رأيك ويستبين لك ما أنت صانع، فسر حتى أنزلك مناع جبلنا الذي يدعي «أجاء» امتنعنا ـ واللّه ـ به من ملوك غسان وحمير ومن النعمان بن المنذر، ومن الأسود والأحمر، واللّه ما دخل علينا فيه ذل قط، فأسير معك حتى أنزلك القرية، ثم نبعث إلى الرجال ممن بـ«أجاء» و «سلمى» من طيء، فواللّه لا يأتي عليك عشرة أيام حتى تأتيك طيء رجالا وركباناً، ثم أقم فينا ما بدا لك، فإن هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم، واللّه لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف».

فقال له: **«جزاك اللّه وقومك خيراً»**[١٧٢]. وأبى أن ينصرف عن مقصده.

وأنت تعلم أنّه لو كان له رغبة في غلبة أو ميل إلى سلطان، لكان لكلام الطرماح وقع في نفسه عليه السّلام ولظهر منه الميل إلى ما عرضه عليه، لكنه ـ بأبي وأمي ـ أبى إلاّ الفوز بالشهادة، والموت في إحياء دين الإسلام، وقد صرّح بذلك فيما تمثل به إذ قال له الحر: «أذكرك اللّه في نفسك فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلنّ». فقال (عليه السّلام) كما في تاريخ الطبري وغيره:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى *** إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً

وواسى الرجال الصالحين بنفسه *** وفارق مثبوراً وخالف مجرماً[١٧٣]

---

(١٦٩) تاريخ الطبري ٤ / ٣٠٠.
(١٧٠) المصدر.
(١٧١) أنظر: هامش ص ٦٢ تجد ما يعجبك من الحر رحمه اللّه ولا يخلو من دقة وإناقة. (الميلاني).
(١٧٢) مقتل الحسين، لأبي مخنف: ٨٩.

وحسبك في إثبات علمه من أول الأمر بما انتهت إليه حاله: ما سمعته من إخبار النبي صلّى اللّٰه عليه وآله بقتله في شاطىء الفرات بموضع يقال له كربلاء، وبكائه عليه، ونداء أميرالمؤمنين عليه السّلام لما حاذى نينوى وهو منصرف إلى صفين:

«صبراً أبا عبداللّٰه، صبراً أبا عبداللّٰه بشاطىء الفرات»[١٧٤].

وقوله إذ مرّ بكربلاء:

«هاهنا مناخ ركابهم، وهاهنا موضع رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم»[١٧٥].

وقول الحسين عليه السّلام لأخيه عمر:

«حدثني أبي أن رسول اللّٰه (صلّى اللّٰه عليه وآله) أخبره بقتله وقتلي، وإن تربتي تكون بقرب تربته»[١٧٦].

وقول الحسن للحسين عليهما السلام كما في أمالي الصدوق وغيرهما من جملة كلام كان بينهما:

«ولكن لا يوم كيومك[١٧٧] **يا أبا عبداللّٰه يزدلف إليك ثلاثون الف رجل، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك، وانتهاب ثقلك، فعندها يحل اللّٰه ببني أمية اللعنة»**[١٧٨].

إلى غير ذلك من الأخبار الدالة على أنّ قتل الحسين عليه السّلام كان معروفاً عند أهل البيت منذ أخبر اللّٰه به نبيه صلّى اللّٰه عليه وآله.

بل صريح أخبارنا أنّ ذلك مما أوحي إلى الأنبياء السابقين، وقد سمعت ما أشرنا إليه من بكائهم عليهم السلام.

ويظهر من بعض الأخبار أنّ قتل الحسين كان معروفاً عند جملة من الصحابة والتابعين حتى أنّهم ليعلمون أنّ قاتله عمر بن سعد، وحسبك ما نقله ابن الأثير حيث ذكر مقتل عمر بن سعد في كامله عن عبداللّٰه بن شريك قال: «أدرك أصحاب الأردية المعلّمة، وأصحاب البرانس السود من أصحاب السواري، إذا مرّبهم عمر بن سعد قالوا: هذا قاتل الحسين وذلك قبل أن يقتله». قال: «وقال ابن سيرين: «قال علي لعمر بن سعد:

«كيف أنت قمت مقاماً تخير فيه بين الجنة والنار، فتختار النار؟[١٧٩]**»**[١٨٠].

---

(١٧٣) روضة الواعظين: ١٧٩، ط قم، بحار الأنوار ٤٤ / ٣٧٩، مقتل أبي مخنف: ٨٧.

(١٧٤) تقدّم تخريجه.

(١٧٥) قرب الإسناد للحميري: ٢٦ ح ٨٧، والبحار ٤٤ / ٢٥٨ ح ٨.

(١٧٦) مرَّ تخريجه.

(١٧٧) هذا مما علمه اللّٰه تعالى ــ وقد أطلع أوليائه بعض ما خُفي على عباده ــ من الغيب قاله عند وفاته، وكان كما قال ــ سلام اللّٰه عليه ــ حيث لم يأت ــ بعد فاجعة يوم عاشوراء ــ يوم يشابه يوم الحسين ــ روحي فداه ــ وقد مضت على تلك الرزية ثلاثة عشر قرناً، هذا وإنّ الأمور التي عدّها الحسن (عليه السّلام) لوقتها وحلَّ ما حلَّ على مستحقيه، وما أعد اللّٰه من العذاب والنكال أشد وأخزى. (الميلاني).

(١٧٨) الأمالي للصدوق: المجلس: ٢٤ ح ٣، المناقب لابن شهراشوب ٤ / ٨٦، ومثير الأحزان: ٢٣، والبحار ٤٥ / ٢١٨.

أترى الحسين (عليه السّلام) كان جاهلا بما عليه أصحاب السواري؟ كلاّ واللّه، ما علم أصحاب البرانس السود ذلك إلاّ منه، أو من أخيه، أو من جدّه، أو من أبيه.

وقد أطلنا الكلام في هذا المقام، إذ لم نجد مَن وفاه حقه، وخرج من عهدة التكليف بإيضاحه، والحمد للّه على التوفيق لتحرير هذه المسألة، وتقرير شواهدها وأدلتها، على وجه تركن النفس إليه، ولا يجد المنصف بدّاً من البناء عليه، بل لا أظن أحداً يقف على ما تلوناه ثم يرتاب فيما قررناه. والآن نشرع في الكتاب متوكلين على اللّه عزّوجلّ وقد جعلناه أربعة أجزاء.

---

(١٧٩) تمتاز الإمامية ــ الاثني عشرية ــ عن غيرهم من الشيعة والفرق الإسلامية الأخرى باعترافهم ــ واعتقادهم ــ بأنّ للإمام عليه السّلام الولاية الكبرى (كشعبة من الولاية المطلقة الإلهية) منحها الباري لهم إبقاءاً للنظام الديني والتشريعي والتكويني العام وتستلزم هذه معرفة الإمام عليه السّلام بأسرار الكون ومشتملاته، ودقائق الأمور ومختفياتها وحقائق الأشياء وما أودع فيها ووقوفه بسريرة الأشخاص وسرائرهم، وما تحويه ضمائرهم وعرفانه بالمستقبل وما يجري فيه، وعلمه بما يكون إلاّ ما أخفاه اللّه عنهم والذي خصه لذاته الربوبية جلّ شأنها، ولنا على ما اخترناه ــ كليّه وجزئيّه، كبر أم صغر (كما يصطلحون) ــ أدلة عقلية مشفوعة بنصوص الكتاب والسنة سهلة التناول لروّادها.

فعليه لا مانع ــ عند المحصّلين وطلاب ما قدمناه ــ من علم الحسن أو أخيه الحسين وأبيهما أمير المؤمنين عليهم السلام بما جرى عليهم أو غير ذلك، بل هو بالنسبة إلى ما لديهم ــ وما أحاطوا بعلمه بمشية اللّه ــ ليس بشيء، والذي خاطب به الإمام عليه السّلام عمر بن سعد من هذا القبيل، ولا غرابة.

وكم لعلي سلام اللّه عليه من هذا النوع والإخبار عن الحوادث الكونية المرتبطة بالخلفاء والأمراء والذي يتعلق ببعض الفرق الإسلامية أو الامة والمجتمع والأفراد، ما أملاه الرواة، وأثبته المحدثون، والمؤرخون وملأ الموسوعات الضخمة!!

نعم هو كما قال عليه الصلاة والسلام: ــ لولا آية في كتاب اللّه لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة وهو قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ﴾. فمن كلامه عليه السّلام هذا وغيره من الأدلة، قالت الإمامية بـــ(البداء) وبه امتازت أيضاً عن غيرها. (الميلاني).

(١٨٠) كنز العمال ١٣ / ٦٧٤ ح ٣٧٧٢٣، تاريخ مدينة دمشق ٤٥ / ٤٩، تهذيب الكمال للمزّي ٢١ / ٣٥٩، رقم ٤٢٤٠.

المحتويات

كلمة المركز ...٥

كلمة لجنة النقد والتحقيق ...٧

مقدمة آية الله السيّد نورالدين الميلاني رحمه الله ...٩

مقدّمة المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة ...٢١

كلمة المؤلّف ...٢٣

المطلب الأول: في البكاء ...٢٧

في البكاء ...٢٩

المطلب الثاني: في رثاء الميّت بالقريض ...٣٩

في رثاء الميّت ...٤١

المطلب الثالث: تلاوة الأحاديث المشتملة على مناقب الميت ومصائبه ...٤٧

تلاوة الأحاديث المشتملة على مناقب الميت ومصائبه ...٤٩

المطلب الرابع: في الجلوس حزناً على الموتى ...٥٣

في الجلوس حزناً على الموتى ...٥٥

المطلب الخامس: في الإنفاق عن الميت ...٥٩

في الإنفاق عن الميت...٦١

فصل: في مآتمنا المختصّة بسيّد الشهداء عليه السّلام ...٦٥

فصل: فلسفة مآتمنا المختصّة بأهل البيت عليهم السّلام ...٩٩

المحتويات ...١٤٣

الكتاب القادم:

تفسير

سورتي

الجمعة والتغابن

للمرجع الكبير آية الله العظمى

السيّد محمّد هادي الحسيني الميلاني

علّق عليه نجله العلامة الحجة

السيّد محمّد علي الحسيني الميلاني